عائلة تنجب قديسين

لويس وزيلي مرتان والدي تريز

منشورات الكرمل

المطران غي غوشيه

الكردينال خوسيه سرافيا مارتينز

الكردينال بول بوبار

عائلة تُنجب قديسين

لويس وزيلي مرتان والدي تريز

نقلة الى العربية

الأخت تيدولا عبدو

الأنسة مايا شدياق

منشورات الكرمل

لا مانع من طبعه

المطران بولس دحدح

النائب الرسولي لطائفة اللاتين في لبنان

جعيتا في 15 كانون الثاني 2009

منشورات الكرمل – الحازمية

العنوان : دير سيدة الكرمل، قرب تلفزيون لبنان،

ص ب 285

هاتف 05-453093/4

فاكس : 05-457433

Website : www.carmes-liban.org

Email : ndcarmel@yahoo.com

صدر محتوى هذا الكتاب بالفرنسية في مجلة :

Vie theresienne, N191 et N192 (2008)

Avec Iaimable autoristion de la direction de la Revne

مقدمة

لقد أعلنت الكنيسة الكاثوليكية لويس وزيلي مرتان، والدى القديسة تريز الطفل يسوع ، طوباويين في 19 تشرين الأول 2008، وحددت عيدهما في 12 تموز من كل عام وهو تاريخ زواجهما وبعد أن جابت تريز أرض لبنان والعالم، ها هو تواكب والديها في الرحلة عينها لكي يسكنان برفقتها بقرب عائلاتنا في كنيسة لبنان.

والرهبانية الكرملية تشعر بفرح خاص لأنها ترتبط ارتباطا خاصا بالوالدين اللذين وهبا بناتهما الأربعة إلى الله في دير الكرمل في ليزيو وابتهما الكرملية تريز هي معلمة الكنيسة. وإلى جانب الشعور بالمسؤولية ترانا نفتخر بأن الكرمل أب وأم كلاهما مثال حي للعائلات المسيحية، وهما صورة حية عن عائلة الناصرة.

إن الكنيسة اليوم ترى في عائلة لويس وزيلي مرتان مثالاً حباً للعائلة المسيحية المدعوة لنشر الانجيل ابتداء من البيت إنها الدعوة الى تقديس الحياة اليومية ومظاهرها الاعتيادية إنها الدعوة الى احترام الجنين والانفتاح على الخصب والعناية بالأولاد.

إن رغبتنا في نشر هذا الكتيب تنبع من مشاعر الكنيسة الجامعة التي عبر عنها الأساقفة الذين تنقل إليك أيها القارئ الحبيب كلماتهم النابعة من المعرفة العميقة والمحبة الكبيرة لعائلة مرتان القديسة.

لقد صدرت هذه النصوص في السنة التي رفعت الكنيسة الطوباويين لويس وزيلي إلى كرامة المذابح ، وكلنا يعرف أن المطران غي غوشيه الذي خدم أبرشية تريز وأهلها أحب قديسة

الطفولة الروحية حتى الجنون، وهو خير من يمكنه أن يكلمنا عن قصة هذه العائلة وعن مسيرة دعوة التطويب، ومراحل النضج في مشوار القداسة لذي أوصل عائلة مرتان الى كنيسة القرن العشرين وعائلاتها.

وكلمات الكردينال مارينز وهو رئيس مجمع القديسين سابقاً تعكس نظرة السلطة الكنسية التي تعلن القديسين كمثال حي للمسيرة التي يجب على كل مسيحي أن يسلكها : فأكبر " خدمة يقوم بها المسيحي للكنيسة هي أن يكون قديساً كان يقول البابا يوحنا بولس الثاني ويعرض الكردينال مارتينز مختلف الأوجه والمزايا التي تحلى بها هذا البيت الذي كانت دعائمه الايمان والرجاء والمحبة.

لقد وافقت عائلة الناصرة هذه " الكنيسة البيتية" فترصعت أسماء جميع الأولاد باسم مريم واسم يوسف، زينة الاسم تصبح مشروع حياه وقداسة ومثل عائلة الناصرة : في الصمت والألم في الغربة والعذاب في العمل والراحة وفي السعة والفقر عرف لويس وزيلي مرتان كيف يتقدسان ويجعلان من الله والقريب قطبي اهتمام بناتهما اللاتي تبعنهما بأمانة.

أدعوك أيها القارئ الكريم إلى الافادة من هذه النصوص التي ستكشف لك حتماً عن سر عمل الروح القدس في حياتك كما قعل في حياتهما وكما أن الألم والعمل والموت والهجرة وغيرها من المتاعب، لم تمنع هذه العائلة من تقديس ذاتها ، فليكن لك هذا حافزاً على عيش يومك الحاضر كان الرب هو نفسه يسلك معك في دروب الحياه، وهو كذلك. ومعك نطلب من الرب، بشفاعة لويس وزيلي مرتان،لجميع عائاتنا نعمة عيش جميع فضائلها وميزاتها الجميلة، خاصة هبة المرافقة والتربية الصالحة للأولاد والمرتبطة بهبة الأمومة والأبوة، وليرسل الله الى كنيسته والدين يساعدون الكنيسة على التبشير بالانجيل في " الكنيسة

البيتية" من خلال الانجاب وتشجيع الأبناء على تقديم ذاتهم للرب في الحياه الارسالية الكهنوتية والرهبانية.

الأب ريمون عبدو

رئيس عام رهبانية الآباء الكرمليين في لبنان

الحازمية 7 شباط 2009

عائلة مرتان : بيت وعيلة حب

المطران غي غوشيه

لقد وهبني الرب أباً وأماً يستحقان السماء أكثر من الأرض "

تريز الطفل يسوع

انطلقت أعمال ورشة تطويب لويس مرتان وزوجته زيلي غيران عام 1957 وقد حددت السيدة بيانريس دو سيو ، في مؤتمر ليزيو حول " عائلة مرتان" قصة دعوى التطويب التي نعرض ملخصاً عنها.

عام 1925 أعلن الكردينال فيكو، رئيس مجمع دعاوى القديسين لدى خروجه من احتفل إعلان قداسة تريز في رزما قائلاً : الآن نطلب الاهتمام بالأب وفي عام 1941 نشرت رسائل زيلي في كتاب بعنوان " مراسلات عائلية في منشورات حوليات ليزيو Annales de Lisieux .

وعام 1946، ذاع صيت لويس وزيلي مرتان عالمياً بفضل كتاب " قصة عائلية" للأب بيات والذي ترجم إلى عدة لغات، وفي السنة نفسها عبر أسقف بايو أمام السفير البابوي في باريس المطران رونكالي الذي سيصبح لاحقاً البابا يوحنا الثالث والعشرين، عن أمله في نجاح دعوى تطويب وتقديس الأبوين مرتان.

عام 1952 أكد أمين سر مجمع الحياه الرهبانية أن خمسين في المئة من قداسة " الزهرة الصغيرة " تعود الى أبيها السيد مرتان وبين العامين 1953 و 1954 كتبت سيلين – الأخت جنفياف – كتيبيها الصغيرين : أبي وأمي.

وستهتم الأم فرانسواز تريز، رئيسة كرمل ليزيو عند موت بولين، بفتح دعوى التطويب فقد طلبها إلى الأسقف عام 1956 حصلت على رد إيجابي وبدأت الدعوى بشأن زيلي في الأورن أبرشية سيز من عام 1957 حتى 1959 وقد استجوب 25 شاهداً وكان الأب ديرو مقدم الطلب المساعد في قضية السيدة مرتان.

وفي العام 1969 أنشأ البابا بولس السادس مجلساً جديداً وضم البابا يوحنا بولس الثاني دعوتى التطويب في دعوى واحدة وتولى المطران جيوفاني الدعوى العامة في روما أما الأب سيمون العائلة المقدسة الكرملي – وهو الوكيل العام لدعاوى القديسين في رهبانية الكرمل في روما – فقد اهتم بها بشكل مباشر ولكي يكتمل العدد بوثائق دعوى التطويب كان من الضروري الاطلاع على 49 أرشيف أو مكتبة كمصادر للمعلومات وقد تم جمع تسعة آلاف وسبعمئة رسالة تشهد على تكريم الأهل مرتان . وعام 1991 استطاع الأب سيمون أن ينهي العمل بدعوى تطويب الأهل مرتان وفي 26 أذار 1994 وقع البابا يوحنا بولس الثاني مرسوماً في بطولة فضائل لويس وزيلي مرتان وأعلنهما مكرمين.

وخلافاً لما يشاع أحياناً في بعض الأوساط غير المطلعة فإن دعوى التطويب قد سبقت بالكثير من الجدية والدقة.

وقد نشرت أعمال الدعوى لإظهار الفضائل في مجلدين :

الأول من 679 صفحة والثاني 1252 صفحة وقد فندت فيهما كل الاعتراضات التي سيقت.

وبعد أن أعلنا مكرمين معاً كان لا بد من أعجوبة من أجل التطويب وقد احتفظ بحالة شفاء الطفل بيترو شيليرو من مونزا من أبرشية ميلان المولود في 25 أيار 2002 في عائلة من أربعة أولاد يشتمل ملفه الطبي الذي ضم الى دعوى التطويب على 968 صفحة بالاضافة

الى 66 صفحة تؤكد على شفاء رئتيه شفاءاً تاماً وقد تم الشفاء في 29 حزيران 2002 بعد تساعيات رفعت الى الأبوين مرتان.

ولن أعيد هنا عرض قصة مرتان التي يعرفها كثيرون ولكنني سأجهد باختصار في تركيب المحاور الرئيسة التي هيكلته هذه العائلة وسأكتفي بالمرحلة التي عاش فيها آل مرتان في ألنسون حتى موت زيلي في 28 آب 1877 فلويس الأرمل سيعيش مع بناته الخمسة في ليزيو وهذا يتطلب دراسة أخرى.

إن مصادرنا هي بشكل أساسي " المراسلات العائلية "(1888–1863) ، التي أعدنا طبعها عام 2004 بما أنه ليس لدينا بعد إمكانية الاستقاء من دعوى التطويب وهي تتألف من 217 رسالة من الأم ومن 16 رسالة فقط من الزوج هذا الكتاب هو معين من المعلومات المتنوعة، فزيلي حكواتيه من الطراز الأول وزوجها يترك لها أن تكتب كل أحد تقريباً لبناتها وللعائلة.

ويبقى كتاب الآب بيات القديم " قصة عائلة " الذي كتبه بأسلوب " الرواية المقدسة " الذي تخطاه الزمن مفيداً لنا فالأخت جنفياف أي سيلين مرتان، زودته في هذه الصفحات وسيلين نفسها كتبت كتابين في أمها وأبيها ونحن نستفيد من غنى " أرشيفات العائلة ".

ومن المهم أن نبدي هذه الملاحظة التمهيدية المهمة فنذكر بما حذر منه المؤرخ رينيه ريمون حين تحدث قائلاً أن المفارقة التاريخية هي الخطيئة الكبرى في التاريخ"

والمفارقة التاريخية هي خطأ يقوم على عدم تحديد الحدث في تاريخه الزمنى الصحيح أي من حقبته إنها التباس بين حقبتين مختلفتين كما يقول معجم اللاروس " وكيف لا نرتكب هذا لخطأ حين نحاول أن نعود الى ألنسون من عام 1860 البديهية : لم يكن لدى عائلة

مرتان الكهرباء إذا لم يكن هناك براد ولا اتف خليوي ولا تلفزيون ولا سيارة أيضاً ولم يكونوا يدفعون ضرائب على مداخيلهم ولم يكونوا يذهبون إلى السينما....

كل هذه الأمور تؤكد لنا أنه من غير الممكن تشبيه هذه العائلة بعائلاتنا اليوم وقد تقع في خطر السقوط في خطيئة أخرى أكبر وهي خطيئة النرجسية خطيئة كبرياء الانسان المعاصر الذي لا يهتم بالماضي إلا بشرط أن يحمل له شيئاً ما قابلا للقياس فلنحاول إذن أن نخرج من عدم قدرتنا الطبيعية على النظر الى الآخرين وتأملهم إلا من خلال رجوعنا الى ذاتنا ولنحاول أن نتعلم المجانية التي تمكننا من بلوغ موضوعية ما ونحن مدركين إدراكاً كافياً أنها ستكون دائماً نسبية الى حد ما .

عائلة عادية من مقاطعة فرنسية

في القرن التاسع عشر

لويس مرتان

ولد لويس مرتان في بوردو في 22 آب 1833 وكان والده بيار فرانسوا مرتان جنديا شارك في حروب نابوليون أفينيون وستراسبورغ .... وأنهى خدمته الطويلة كنقيب.

وفي السادسة والنصف من عمره كان لويس مرتان تلميذاً عسكرياً وقد اكتسب حس النظام والميل إلى الرياضة والرحلات . وفي عام 1830 عاد ولده إلى منطقته في ألنسون مما حدا بلويس أن يعيد التفكير في مهنته العسكرية وحين بلغ العشرين من عمره عام 1843 قرر أن يكون ساعاتياً وهي مهنة تتطلب الدقة والانتباه والضمير المهني. وقد خضع للتدريب والتمرين على المهنة في رين في بروتانيه وكان لويس شاباً هادئاً ونقياً ينسخ نصوصاً شعرية ودينية في مذكراته وتابع تنشئته في سويسرا ليكسب مهارة إضافية وضرورية في مهنة الساعاتي وقد نعرف هناك على دير القديس برنار الدير الأكثر ارتفاعاً في أوروبا والذي يساعد رهبانة أهل الجبال على تخطئ المصاعب والعقبات وقضى لويس بعد ذلك سنتين في ستراسبورغ (1843 – 1845) حيث كانت له صداقات جيدة تعلم الألمانية وعاد بعمر 22 سنة إلى دير القديس برنار في سويسرا طالباً الترهب فيه لكن رئيس الدير رفض قبوله الحياه اللغة اللاتينية فعاد إلى ألنسون خائباً وبدأ يتعلم اللاتينية لكنه توقف عنها ليتابع دراسته في باريس بين سنة 1847 و 1850 كان لويس عائلة مرتان إكراماً كبيراً ولم تخلو هذه المرحلة الباريسية من المشاكل والتجارب.

وفي عام 1930فتح لويس مشغله الجديد في ألنسون في شارع الجسر الجديد وأضاف إليه لاحقاً مشغل المجوهرات وسكن أهله معه في الطابق الأول.

عاش هذا الشاب المحب للتأم والنشيط والهادئ طبعاً على هذا النحو مدة ثماني سنوات وكان له العديد من الأصدقاء الذين يلقيهم في فريق vital romet حيث يلقن الايمان ويلعب المنضوون اليه البيليار وبقى الصيد تسليته المفضلة حتى لقب بمرتان الصياد وبقى الصيد اشترى برجاً مثمن الزوايا " لو بافيون " في شارع تيزون.

وكان يختلي فيه ليتأمل ويقرأ ويصلى وبدأت أمه تضطرب لحاله فهل يبقي عازباً مدى الحياه ؟ وشاركت أمه في دورة تدريبية في مدرسة ألنسون للتخريم ولفتت انتباهها صبية نشيطة وذكية تدعى زيلى غيران.

زيلي غيران

ولدت زيلي في 23 كانون الأول 1831 في سان دنيه سور سارتون في منطقة الأورن.

خاض والدها حروب نابوليون وأنهى خدمته العسكرية فيالشرطة تزوج مي لويز ماسيه التي أنجب منه ثلاثة أولاد : إليزوزيلي وايزودور كانت طفولة زيلي شديدة التقشف كئيبة كالكفن" كانت أمها قاسية جداً ولم تحصل طفلتها على لعبة البتة تلقت زيلي مع أختها الكبرى تربية جيدة عند راهبات بيكبوس في ألنسون وكانت زيلي ذكية وتكتب بسهولة وفي عام 1853 وقد صار عمرها 22 سمة فكرت في دعوة رسولية عند راهبات القديس منصور دو بول : تود أن تعتني بالمرضى وتساعد الفقراء.

التقت الرئيسة بصحبة والدتها فلم تميز الأولى لدى زيلي أية دعوة مماثلة أصيبت بخيبة أمل ولكنها ليست من نوع النساء التي تتحسر على قدرها فتوجهت الى تصنيع قطبة ألنسون المعروفة في فرنسا وخارجها وفتحت معملاً حرفياً مع أختها إليز ولكن هذه الأخيرة دخلت دير الزيارة في مينس حيث دعيت الأخت ماري دوزيتيه وسكون لها دوراً مهماً في عائلتي مرتان وغيران وبقيت زيلي وحدها ووسعت بحماس وثبات صناعتها لقطبة ألنسون.

الزواج في 13 تموز 1858

يروى في عائلة مرتان أن زيلي التقت لويس عند جسر سان ليونار وأن هذا الرجل الجميل صاحب الخمسة وثلاثين سنة وقد لفت نظرها وكان لها من العمر سبعة وعشرون عاما وبعد فترة خطوبة قصيرة تم الزواج في كنيسة سيدة ألنسون في 13 تموز سنة 1858 عند منتصف الليل حسب عادات العصر.

وكان لويس نسخ في دفاترة الشخصية مقاطع من كتب لاهوتية تتحدث عن شرعية سر الزواج غير المتمم لقد أراد أن يكون راهباً فلم لا يعيش هذه الحالة الاجتماعية الجديدة مع زوجته كأخ وأخت ؟ وبما أن زيلى كانت غير مطلعة في " حقائق الزواج" فقد اقتنعت بالأمر ولكن بعد عدة أشهر من الزواج سمح الأب هوريل كاهن رعية كنيسة القديس ليونار ومرشد لويس سمح لنفسه بالتدخل : فالزواج يقود طبيعياً الى إنجاب البنين سيكون لعائلة مرتان تسعة أولاد إذا وكتبت زيلي : "أحب الأولاد حتى الدنون لقد ولدت ليكون لي أولاد.

عائلة يحب فيها الواحد الآخر

ولأنها كتبت عاطفتها طويلاً فقد أحبت زيلي لويس حباً شديداً وتظهر بعض الأقوال التي باحت بها هذا الأمر :

" أنا سعيدة جداً على الدوام معه وهو يجعل حياتي وادعة مطمئنة ".

" زوجي رجل قديس وكم أتمني لجميع النساء زوجاً مماثلاً .

" من الصعب أن نلتقي بواحد على مئة بهذه الطريقة "

وفي رسالة الى لويس كتبت :

" أنا سعيدة للغاية اليوم لفكرة لقائك حتى إنني لم أعد أقو على العمل زوجتك التي تحبك أكثر من الحياة"

وكتبت أيضاً :

" أنتظر بفارغ الصبر أن أكون بقربك يا حبيبي لويس وأحبك من كل قلبي وأشعر أنني أضاعف من حبي لك بسبب غيابك :أحس من المستحيل على أن أعيش بعيداً عنك ....."

و لسوء الحظ ليس لدينا إلا رسالة واحدة من لوس إلى زيلي يختمها على الشكل التالي : زوجك وصديقك الحقيقي الذي يحبك مدى الحياة".

حب الأهل لأولادهم

لا جدوى من التركيز كثيراً على هذا الأمر فهذا الحب يظهر في العديد مكن رسائل زيلي أما في ما يتعلق بحب الوالد فستكون شهادة تريز متأخرة إنما دن التباس :

" لقد ارتضى الله بأن يحوطني بالحب طوال حياتي فذكرياتي الاولى مطبوعة بالبسمات وبأرق العواطف ....

وإذا كان قد وضع بجانبي الكثير من الحب طوال حياتي .

فذكرياتي الأولى مطبوعة بالبسمات وبأرق العواطف ....

واذا كان قد وضع بجانبي الكثير من الحب فقد أودع في قلبي الصغر حباً كثيراً فخلفه محباً ورقيقاً ولذلك كنت أحب بابا وماما حباً جماً وأعرب لهما عن عاطفتي بألف نوع ونوع".

وتتذكر تريز في ليزيو بعد أن تيتمت بموت أمها وتقول :" كان قلب والدنا الحنون قد أضاف إلى الحب الذي يملكه حباً أمومياً حقاً " .

حب الأولاد لأهلهم

ومع هذه الشهادة من تريز لا بد من اضافة شهادات كثيرة شهادة كل واحدة من البنات في مراسلتهن طيلة حياتهن.

الحب بين الأولاد

من النادر أن تلتقي أخوات أربعة في الدير نفسه. وعلى مدى عشرات السنين فتش البعض عبثاً عن ملامح خلافات أو بعض المشاكل بينهن والأمر نفسه مع " ليوني المسكينة" لأقل

موهبة بين الخمسة والتي أصبحت راهبة زيارة في كان كن مختلفات ولكنهن لم يعش أي خلاف جدي بينهن يوماً وقد ظهرت الروح العائلية بقوة كبيرة طيلة حياتهن كلها.

لا بد من الاشارة أيضاً إلى العلاقات التي توطدت أكثر فأكثر بين عائلتي مرتان وغيران فبعد زواج ايزودور بسيلين فورنية في 11 أيلول 1866 وبعد فترة من التآلف ستتشدد أواصر العلاقة فتلحظ الزيارات المتبادلة بين ألنسون وليزيو وهدايا الميلاد كل سنة وهدايا الميلاد كل سنة وهموم الصيدلي المادية في بداياته فقد احترقت صيدليته في17 آذار1873 وقد ساعده فيها آل مرتان بقروض دون فائدة.

وتقدر زيلى كثيراً زوجه أخيها وتكل اليها أولادها عشية موتها.

عائلة مسيحية

لا وجود لجموع غفيرة في قداس الفجر عند الخامسة والنصف من صباح من صباح كل يوم في كنيسة القديس ليونار وان كان يسمى " قداس العمال " يتلقى آل مرتان المناولة ما أمكن وهو أمر استثنائي أيضاً ولا يفوتوا أبداً المناولة في أول جمعة من الشهر إكراماً لقلب يسوع الأقدس تقدم الصلاة في العائلة صباحاً ومساء أمام تمثال العذراء الذي قدمته للويس الشاب الآنسة فيليستيه بودوان التي تهتم برعاية كنيسة القديس ليونار وكان شهر مريم مناسبة لتزيين البيت بالزهور بشكل ظاهر.

تحترم وصايا الله والكنيسة في عائلة مرتان بشكل صارم وتصوم زيلي الصوم كله حتى نفاذ قواها كانت تقوم بذلك لوقت قصير قبل وفاتها.

كانت راحة الأحد مقدسة : لا مجال لفتح محل الساعات في يوم الرب وان سمح معرف لويس له بذلك بسبب تهافت الزبائن في هذا اليوم ولا يسافر أحد نهار الأحد وان أجبرت زيلي على ذلك لدى حجها الأخير الى لورد

يشارك لويس مرتان انتظام في عبادة القربان المقدس في الليل إنها الفترة التي ينتسب فيها المؤمنون الى مختلف الجمعيات يلبس الأهل مرتان ثوب الكرمل وزيلى تبدو متعلقة جداً بالروحانية الفرنسيسكانية التي يعرفها بفضل راهبات الكلاريس في شارع " نصف القمر". وإذا كان لويس يحب رحلات الحج فزيلي تخاف منها ومع ذلك فهي تزور لورد مع بنائها الثلاثة لتطلب من العذراء أن تشفيها من مرضها ستكون الرحلة سيئة مليئة بالأحداث وسوء التفاهم وتعود منها زيلي منهكة القوي.

يشارك لويس في رحلات حج محلية : كابيلا السيدة في لوريت وشامون ويشارك أيضاً في رحلات حج كبيرة الى شارتر وإلى لورد وكانت هذه الرحلات لا تخلو من المصاعب والتحديات وتعطينا والتحديات وتعطينا هذه النشاطات معلومات قليلة عن حياه الزوجين الروحية ولكن قراءة رسائل زيلي تقدمنا إشارات قيمة في هذا الشأن.

فالأولوية هي للقداسة الهدف الرئيس الذي تبهت أمامه الأهداف الأخرى وعندما تقرر ماري في السابعة عشرة من عمرها أن تشارك في رياضة روحية تقول لها أمها : " لا قيمة للمال عندما يتعلق الأمر بتقديس النفس وكمالها وحصلت على رضى زوجها الذي كان متحفظاً في بادئ الأمر.

ويبقى هم الأم أن تكون بيانها قديسات بمن فيهم ليوني .

أما هي فهذا ما تتمناه لنفسها بكل وعي : وأنا أيضاً أريد أن أكون قديسة ولكنني لا أعرف من أين أبدأ لدي الكثير من العمل بذلك أكتفى بالرغبة غالباً ما أقول في النهار :إلهى كم

أرعب أن أكون قديسة ! ثم لا أقوم بالأعمال اللازمة ! ومع ذلك فقد آذن الوقت لأنطلق في المسيرة ... ".

أما المعيار على مصداقية هذه الحياه المسيحية فنجده في أعمال المحبة الحسية التي كانت تقوم بها العائلة تجاه جميع طبقات الناس.
في البداية هناك الخادم الكثيرات في هذه الفترة والضروريات في بيت تعاقبت فيه الولادات بالإضافة الى العمل الذي ستراه لاحقاً ومن في أغلب الأحيان شابات ولا خبرة لهن.

بقيت لويز ماريه اثنتي عشرة في خدمة آل مرتان ولكنها غالباً ما كانت تمرض فكانت تغيب أو تعتني بها سيدتها " لا خادمة لدى فمنذ شهر وخادمتي مريضة وتعاني من رومانيزم في المفاصل أعتنى بها منذ ثلاثة أسابيع ولا بد من السهر عليها ليلاً ونهاراً ".

وكادت زيلى تطرد لويز حين علمت أن هذه الأخيرة تتمتع بنفوذ على ليوني حتى أنها أبعدتها عن أمها وحصلت المأساة في آذار 1877 وقد تأثرت زيلي كثيراً بهذا الأمر ولكن لويز بقيت لدى آل مرتان واعتنت بزيلي حتى وفاتها.

ويبقى الهم الثاني الها العاملات اللواتي يعملن لديها ويشتغلن قطبة ألنسون وكان من مخاطر الاقتصاد أن الطلبات كانت تكثر أو تشح ولم تكن زيلي تريد بأي ثمن ان تحرم عاملاتها من مصدر عيشهن كانت الآنسة ابرما تعمل لديها منذ سنوات عدة ولم تكن تقون بعملها بشكل جيد وكان لا بد من طردها وايجاد عاملة بدلاً عنها ولتكن زيلي رفضت الأمر.

وكانت هناك طبقات اجتماعية مختلفة في حالة عوز، كذاك الرجل العجوز الذي التقاه السيد مرتان في الشارع فأتى به إلى منزله وأطعمه وجعله يغتسل وألبسه وكثف الجهود ليدخله في مؤسسة للعجزة رغم كبر سنه.

كان لقصة أرمندين الصغيرة محلاً في حياه زيلي كانت ليوني تأخذ دروساً خصوصية لدى راهبتين مزيفتين وكانت هاتان الراهبتان تعذبان طفلة صغيرة أو كلتها أمها الفقيرة لهما عندما اكتشفت زيلي الأمر أوصلت القصة الى الشرطة رغم كل الاشاعات والأقاويل ولم تتوقف حتى كشف أمر هاتين المرأتين.

ورغم تعبها الشديد أثناء سفر في القطار الى مينس اقترحت زيلي مساعدتها اقترحت زيلي مساعدتها على أم ولدين صغيرين أربكتها أمنعتها الضخمة وكانت هذه الأخيرة آنية من فالأنس لتضع أولادها ند المرضعة عند المرضعة ولدى وصولها الى ألنسون حيث كان لويس في انتظارها رافقا الأم وأولادها لدى العائلة و عادا الى البيت عند منتصف الليل وتكتب زيلي بعد هذه الحادثة :"أفضل الموت على الانفصال عن أولادي على هذا الشكل".

وتقبل زيلي أن تتخلى عن ما تدين به للآخرين وأن تفقد مالاً مساعدة لأشخاص يعانون من صعوبات مادية.

ويهتم لويس بمراسم دفن امرأة فقيرة ويدفع كافة التكاليف ويحتوى ملف دعواهم الكثير من الاحداث من هذا النوع كزيارة المرضى والشارفين على الموت.

بعد هزيمة 1870، احتل 35 ألف بروسي ألنسون وسكن تسعة منهم في شارع الجسر الجديد لدى آل مرتان كان لويس يريد الانضمام الى الجنود للدفاع عن المدينة أما الاعتداء الذين يستقبلونهم في بينهم فهم على حسب زيلي " لا أشرار ولا نهاب " ولكن مأخذها عليهم " أنهم يأكلون كل شيء دون خبز" ويلتهمون الأجبان الكثيرة ! وقد سرق أحدهم ساعة من المحل وأراد لويس أن يقدم شكوى في هذا الشأن ولكنه عندما علم أن جندياً أخر سرق وأردي حالاً رمياً بالرصاص امتنع عن ذلك.

عائلة تعمل

لنتحاش المفارقة التاريخية أيضاً في هذا المجال فمجتمع فرنسا في القرن التاسع يستحق وصفاً طويلاً قابلاً للتأويل فمن العامل الزراعي الى الفاعل الذي يعمل في المعمل حتى كبار الملاكين تتسع التشكيلة مروراً بالفلاحين والحرفيين وإذا كان غيزوا – الذي يعمل في المعمل حتى كبار الملاكين تتسع التشكيلة مروراً بالفلاحين والحرفيين واذا كان غيزوا – الذي مات في سان أوين لوبين بالقرب من ليزيو ليس بعيداً من منزل آل فورنيه حيث كانت تريز تقتضي عطلاتها – قال حقاً : "اغتنوا "!... وقد نال الانتباه لكن معظم الناس يعملون كثيراً ماعدا أولئك الذين يعيشون من ايرادات أموالهم.

وفي ألنسون كان آل مرتان حرفيين وتجار(ساعاتي وعاملة تخريم) وقد عمل لويس وحده في محله مدة واحد وعشرين سنة في مهمة لا تحتمل العمل غير الاحترافي : فالساعات اليدوية وساعات الحائط تمشي أو لا تمشي .

وفي العام 1871 باع لويس محله لابن أخته الصغرى أدولف لوريش بمبلغ آلاف فرنك وهو الثمن الذي دفعه هو نفسه عندما اشترى المحل قبل واحد وعشرين سنة.

وانتقلت العائلة في هذه السنة الى بيت الجد في شارع سان بليز ووضعت عند الباب المدخل لوحة كتب عليها : لويس مرتان قطبة ألنسون ليس للمحل شهادة مسجلة ولكنه يعمل بلا مواد أولية يقوم لويس بالحسابات والفواتير ويسافر الى باريس لإيجاد طلبيات إذا اقتضى الأمر.

ولكن صناعة التخريم تعتمد على زيلي وقد بدأت عملها بحمية ومهارة ورزقها الله تسعة أولاد ولديها حوالى العشرين عاملة وزبائن وهم والديها حوالى العشرين عاملة وزبائن وهم والدها وحماتها وغالباً ما ترهقها كثرة الأعمال خصوصاً منذ عام 1867 من هنا تذمرها

المتواصل من الأعمال التي تنهشها والتي تجبرها على النهوض من النوم عند الخامسة صباحاً للاشتراك في القداس أولاً ثم النوم غالباً بعد الثانية عشرة من بعد منتصف الليل وكم مرة تكرر في مراسلاتها أقوالاً كالتالية : "لا ينقصنا العمل هنا وان كان لدي من العمل أقل مما لدي اليوم بثلاث مرات لكان لدي ما يكفي لكي لا أكون غالباً بدون عمل ولكنه عمل عذب ولطيف الاهتمام بالأولاد الصغار ! وإذا لم يكن لدي سوى هذا العمل يبدو لي أنني لكنت أسعد النساء ولكن لا بد لأبيهم ولي من العمل لكي نحصل على مهرهن وإلا متى كبرن فلن نفرحهن !

صحيح أن هذا العمل الدؤوب بالإضافة إلى توظيف أموال في البورصة قم به لويس وارث حصلت العائلة عليه كل هذه أعطتهم رأس مال كبير لدى وفاه زيلي عام 1877 وهي تعترف بالأمر قائلة : تسمح أن يكون لدينا الآن لا يخدمون الله والمال وكان هم زيلي أن تعمل مهراً لبناتها الخمسة على حسب عادات عصره ولكن خلافاً للكثير من أصدقائهم الذين اكتسبوا ملكيات واسعة و جميلة للكثير عائلة مرتان تعيش بتواضع وتهتم بالتوفير واذا نظرنا إلى نمط حياهم اليومي وجدنا أنهم يصرفون القليل حتى وان كانت زيلي لا توفر في ما يتعلق بأناقة بناتها اذ لا بد أنن تبدون جميلات وهذا ما لا يمنعها من أن ترعد ضد " عبودية الموضة ".

وحتى نهاية حياتها سنهتم زيلي وهي مريضة بإنهاء بعض أمتار من الدانتيل التي طلبت منها.

عائلة كبيرة عانت المحن

إن محن العائلة الكبرى هي بدرجة أولى المرض والموت وهنا يتضاعف خطر ارتكاب مفارقة تاريخية فقد اختلف الموقف من الموت بشكل أساسي في قرن واحد.

فتطور العلوم الطبية مثلاً أنهى في أوروبا مشكلة موت الأطفال وفي العام 1870 كان 17 بالمئة من الأولاد يموتون تحت سن السنة أي بمعدل 180 في الألف أما في عام 1990 فصارت النسبة 8 بالألف.

وكان كل شيء يسير على ما يرام حتى عام 1867 ولد لعائلة مرتان للثاث بنات وصبى ولكن بعد عشر سنوات من الزواج بدأت الوفيات تتضاعف وفي السنة نفسها اكتشفت زيلي وجعاً في صدرها منعها من ارضاع أولادها وقضى عليها بعد ثلاث عشرة سنة.

ثم بدأت سلسلة الوفيات مع موت والد لويس الذي أثر كثيراً في نفس زيلي وكرت السبحة : ففي ثماني سنوات عاشت العائلة ست وفيات منها أربعة لأطفالهم وبينهم الصبيين.

وتعاقبت فترات الحمل والحداد وتظهر رسائل زيلي بهذا المعنى مؤثرة أحياناً فهي لا تثق بالطب – وغالباً ما تعبر عن هذا الأمر – الذي يبدو من جهنه عاجزا عجزاً تاماً وفي 16 تشرين الأول 1871 فقدت عائلة الصيدلي إيزودور غيران بول الصغير لدى ولادته.

لذلك نرى سباقاً لإيجاد مرضعات لدى كل ولادة.

وكان البعض من هؤلاء مهملات للغاية ولن نسامح زيلي نفسها على وفاه ميلاني تريز الصغيرة التي ماتت تقريباً من الجوع عند مرضعة سيئة ولحسن الحظ خلصت روز تانية في سيماليه تريز الطفلة التاسعة التي كادت تموت ي أيضاً عند ولادتها. ولكنها لم تستطيع أن تعمل شيئاً للصغير جوزيف ال0ذي مات في 14 آب 1862 وهذا ما يبرر مخاوف زيلي وقلقها المستمر ما إن يصاب أحد الأطفال بمرض وان غير خطير اليوم : الحميرة والتيفوئيد والرشح والتهاب الرئتين .....وكيف لا تضطرب عندما هذه الأمراض تصطاد الأطفال في أيام ؟وقد بلغت المأساة ذروتها عندما ماتت هيلين الصغيرة العذبة عن عمر خمس سنوات وأربعة أشهر في 22 شباط 1870 ورسالة زيلي التي تخبر فيها عائلة غيران بموت ابنتها

الصغيرة احدى مختارات الألم الأمومي كانت زيلي حينها حامل بطفلها الثامن تريز التي ستموت عن عمر شهرين في 8 تشرين الأول 1870 وكان والدها قد مات بعد أن اهتمت به زيلي عدة أسابيع وكانت تحبه كثيراً .

وإننا لا نفتش عن تعتيم الواقع أكثر حين لا تنسى كل ما انتجته هذه الأحداث من ليال قصيرة وسهر وتعب وعناية بالآخرين ... ففي محيط العائلة كان موت الأطفال والمراهقين في وتيرة عالية دون ذكر الموت المفاجئ الذي كان يصيب الأعيان والناس العاديين وفي تلك الأيام كان الموت بطال جميع الأعمار ويأتي من أمراض وأسباب كثيرة.

وكيف تندهش من كون المسيحيين يتطلعون باستمرار إلى الأخرة ويتمنون أن يلتقوا بعضهم بعضا في "السماء" كما تقول تريز غالباً في الكرمل؟

وتكاد حيا عائلة مرتان المركبة على هذا النحو الجيد تشبه رواية سوداء مرعبة على طريقة زولا. وفي هذ إهمال لأفراح هذه العائلة حتى وسط المحن : الأفراح العائلية بلقاء الأختين الكبيرتين اللتين كانتا تعيشان في المدرسة الداخلية لدى خالتهما في منس واللتين كانتا تأتيان للعطلة وفرح السفر للقاء الأقارب غيران في ليزيو والنزهات والرحلات في ريف النسون وأفراح الحب المتبادل....

فإذا كان أل مرتان مسيحيين جديين فهم ليسوا متزمتين في تقواهم.

وتعبر رسائل زيلي عن حس صحيح وروح نكته قروية واعية وهي بهذا المعنى مؤرخة ممتازة للحياة في ألنسون :

أكان الأمر يتعلق بحرب 1870 أو أعياد البلدة المختلفة أو عيوب بورجوازية البلد وصغارها وسخافاتها أو عيوب عالم الكنيسة حيث تلمس حقبة بكاملها بما في ذلك النقاشات السياسية.

ومع كونها من الملتزمين بالقداس وصلاة الغروب وعظات الصوم فقد حافظت زيلي على حرية في الكلام.

صراحة وها هي تقول : "لدينا منذ ثمانية أيام مرسلين يعظوننا ثلاث مرات في اليوم. وبرأيي لا يعظ أحدهما أفضل من الآخر سنستمع إليهما على الرغم من ذلك امثالا للواجب وهذا الأمر أقله بالنسبة الى فعل تكفير وتوبة إضافي.

وتقول رأيها في الليتورجيا : اقترحت أن أذهب في الشهر الرميمي ولكنني نسيت الساعة سأصل الآن متأخرة ولكن في العمق هذا الاحتفال لا يعجبني كثيراً.

نسمع فيه تراتيل غربية لا تحتمل نوع من الهديل لا يفهم منه شيء يغلب الظن أنك في قهوة وهذا يزعجني ! في السابق كانت الأمور أكثر تقوية وفي نهاية المطاف يبدو أننا في عصر التطور! .

ولم تكن الخالة من راهبات الزيارة التي ماتت برائحة القداسة في 24 شباط 1877 (وقد تأثرت زيلي كثيراً لموتها فقد كانت تحبها كثيراً) توافق على ذهاب ماري كل خمسة عشر يوماً مع بعض الفتيات من جيلها الى سهرات بسيطة عن السيدة م. تدافع زيلي عن كبيرتها بالقول : " لا أرى مع ذلك سوءاً في الأمر فهن حوالي اثنتي عشر فتاه تهذبات يلهون معاً .فهل يجب إذا العيش كما في حصن ؟ لا يمكن العيش كالذئاب في العالم.. عند الخالة هناك أمور يجب العمل بها وهناك امور لا بدمن إهمالها .

عائلة منبت دعوات

من البديهي انه أمر استثائى أن تعطي عائلة مئة في المئة دعوات من أولادها : خمس بنات أربعة منهن كرمليات وواحدة لدى راهبات الزيارة في كان ومن المؤكد أن الجو العائلي حمل على ذلك وساهم فيه فالأب كان رغب في أن يكون راهباً والأم حلمت بأن تكون راهبة تعتني بالمرضى وبالفقراء وكان هذا الأمر يثير احتراماً كبيراً للحياة الكهنوتية وللحياة الرهبانية وكون الكبيرتين عاشتا في دير الزيارة في منس بعد ذات أهمية كبيرة أيضاً .

فتربيتهن بما في ذلك التربية على الصعيد البشري كانت محبة ولكن متشددة فلا يمر شيء مرور الكرام في ما يتعلق بالعمل والخدمات الواجبة والجهود التي لا بد منها والدقة في الوقت ....الخ

وفي الوقت نفسه لا اجبار أبداً من الأهل وتكتب زيلي : وعلى الرغم من رغبتي الحادة في اعطائهن لله فإذا طلب مني الله هاتين التضحيتين الآن الأمر يتعلق بماري وبولين) وإن فمت بهما بأفضل ما يمكنني ولكن ذلك لن يكون دون ألم.

كانت بولين أول من فكرت بالدعوة الرهبانية كان لها من العمر خمسة عشرة بديهي أنها حلمت في البداية بالزيارة.

ولكنها لن تفكر في الكرمل إلا في ليزيو في كنيسة القديس يعقوب في 16 شباط 1882 في الذكرى المئوية المقدسة تريز الأفيلية . تغيير جذري لأخواتها لاحقاً

وماري شخصية مستقلة لا يتوقع لها شيء غامضة لا تريد أن تتزوج ولا تريد أن تكون راهبة كي " نزيل الغبار عن المذابح " أنا أريد أن أكون حرة " ولكنها ى تريد أن تبقي عانساً

ولديها فكرتها التي ستبوح بها لأمها قبل موتها : لن تدخل الكرمل إلا في سن السادسة والعشرين.

أما ليوني "المسكينة " التي تحمل أمها غالباً على اليأس فهي ترى نفسها من راهبات الزيارة أو الكلاريس ولكنها لا تثبت في أفكارها ومشاريعها سيكون طريقها طويلاً مع تعرجاته وتغيراته قبل أن تدخل في 28 كانون الثاني 1899 دير راهبات الزيارة في كان للمرة الثالثة وتبقى فيه حتى موتها.

وتريز الصغيرة تكتفي في الوقت الحاضر يلعب دور الراهبة وتقول لاحقاً أنها فكرت بالأمر باكراً جداً .

أما في ما يتعلق بسيلين (وعمرها سبع سنوات لدى موت أمها) لا شيء يبدو أنه يوجه " العنيدة المقدامة" نحو الحصن لن تدخله إلا في 14 أيلول 1894 بعد أن اعتنت بأبيها حتى موته.

هذا الأخير وعلى الرغم من آلامه كان قد قال أنه مستعد " ليعطي بناته كلهن لله " ولا بد من الاعتراف أن أمل الأهل مرتان قد خاب لعدم إنجابهم أبناء كهنة.

كنا قد أعلنا أن حديثنا سينتهي مع موت زيلي في 28 آب 1877 وتنتهي مرحلة ألنسون (سبعة عشر سنة من الزواج) الانتقال إلى ليزيوه تلبية لرغبة زيلي التي أرادت أن يساعد كل من أخيها وزوجته لويس الأرمل مع بناتها الخمسة اللاتي مازلن قاصرات هكذا سيكون هناك يوماً القديسة تريز من ليزيو.

موت الأم

وبلغت المأساة العائلية ذروتها عندما نقلت زيلي، التي كانت تعاني أكثر فأكثر من وجع بسبب "دراسة في صدرها بعد أن استشارت طبيباً نقلت إلى زوجها وبناتها تشخيص الطيب العنيف والمفاجئ والذي لا رجوع فيه : لا مجال لإجراء عملية لمرض السرطان الذي تعاني منه وكان يوم 17 كانون الأول 1876 يوم ذعر ورعب في شارع القديس بليز ورتب لويس المصدوم قصب الصيد واحد ايزودور الذي استشير موعداً مع الجراح الشهير في ليزيو الدكتور نوتا الذي لم يستطع الا أن يؤكد أن الوقت فات.

وتابعت زيلى عملها واهتمامها بعائلتها كام يقظة حافظت على هدوئها لدرجة رفعت معها معنويات محيطها وبقيت آخر ورفة رابحة لها رحلة حج الى لورد.

ولم تشك في كونها ستشفى وقد أحاطت بها العائلة والرهبانيات (الزيارة في منس وفي ليزيو وراهبات الكلازيس) يتلين التساعيات والصلوات من أجلها ونعرف خيبة الأمل التي شعرت بها (خصوصاً بناتها) من هذه الرحلة التي زادت في الألم وأظهرت زيليحتى النهاية شجاعة تكاد تكون فائقة الطبيعة فكانت تذهب الى قداس الأحد وهي تتوجع وتكاد تصيح صباحاً عالياً من شدة الألم وستأتي أخوات من راهبات الرحمة لنسهر عليها في آخر أيام حياتها . وكانت قد تمنت ألا تموت وهي نائمة قائلة "أفضل أن أرى الموت آتياً.

وماتت زيلي يوم الثلاثاء 28 آب 1877 بعد آلام مريرة شلتها عن الحركة فكانت تنقل بين السرير والكرسي في حضور عائلة غيران الين وصلوا بصورة طارئة وكانت آخر رسالة كتبتها إلى أخيها يوم الخميس 16 آب تقول فيها :" لا أستطيع أكثر فإن قواي قد خارت تماماً .

ويبقي أن تتابع مسيرة لويس مرتان حتى موته في 29 تموز1894 في الموس ملكية عائلة غيران وقد عرف هو أيضاُ الالآم ".

قلنا في البداية " عائلة عادية " ويمكننا أن تقول أيضاً عائلة استثنائية يمكن لكل واحد أن يكون له راية فيها وأقولها للمرة الأخيرة : متحاشياً المفارقات التاريخية ولكن من المهم أيضاً العودة الى رأي الابنة الصغرى وهي الوحيدة التي أعلنت قديسة حالياً من المؤكد أنها طرف في الموضوع ولكنها أخبت الحقيقة لدرجة لا يمكن معها أن نهمل شهادتها وهي وفيرة في كتاباتها.

في أيار 1888 كتبت لوالدها بعد شهر من دخولها الكرمل في ليزيو تقول : " سأمجدك اذ أصبح قديسة كبيرة".

وفي مخطوطها الأول تذكر " انعطافات ملكة السماء الوالدية نحو عائلتنا " و"أنا سعيدة بالانتساب إلى والدين لا نظير لهما " وتكتب في رسائلها :" يا له سراً سر حب يسع لعائلتنا" كم كان ربنا عطوفاً وطيباً مع عائلتنا ".

وتكتب للأب بلبير أخيها الروحي الذي سألها عن أصلها فتجيب في 26 تموز 1897 أي شهري قبل وفاتها بمختصر أخير عن قصتها العائلية يمكننا أن نعتبره كوصية نوعا ما متعلقة بعائلتنا :" لقد وهبني الرب أبا وأما أكثر استحقاقاً للسماء منه للأرض وكانا قد طلبا من الرب أن يمنحها أولاداً كثيرين وأن يأخذهم له هذه الأمينة قد استجيبت فطار أربعة ملائكة صغار إلى السماوات أما بناتهما الخمس الباقيات في الحلبة فقد اخترن يسوع عريساً لهن وكان أن صعد أبي بشجاعة بطولية كإبراهيم جديد (تكوين 2.22) ثلاث مرات الى جبل الكرمل ليقدم ذبيحة لله أعز ما لديه (تكوين 22.10)فقدم أولاً ابنته البكريين ثم ان الثالثة من بناته وفقاً لرأى مرشدها قامت بصحبة والدنا المتقطع النظير بتجربة في دبر من

أدبرة الزيارة ورضى الله بالقبول فعادت فيما بعد إلى العالم حيث عاشت كما لو كانت في الحصن ولم يبق " لمختار الله "الا بنتين واحدة عمرها 18 عاماً والأخرى 14 وهذا ما حصلت عليه من والدها الصالح بدون صعوبة ودفعة تنازله ال اصطحابها الى باليو أولاً ثم الى روما كي يزيل العقبات التي كانت تؤخر ذبيحة من كان يسميها ملكته وبعد أن قاد ابنته الوحيدة التي كانت قد بقيت له قال لها ؟: أن شئت أن تتبعي خطو أخواتك فأنا موافق على ذلك فلا تقلقي بشأني " أما الملاك الذي كان عليه يساند شيخوخة مثل هذا القديس فأجاب بأنه بعد رحيله الى السماء سيحلق هو ايضاً نحو الحصن وهذا ما أفعم بالفرح من لم يكن يحيا الا من أجل الله وحده لكن حياه جميلة كهذه كان لا بد من أن تنوج بتجربة جديرة بها فبعد رحيلي بوقت قليل أصيب الوالد الذي كنا بحق نحيه للغاية بحادث شلل في الساقين تكرر عدة مرات ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد –فالشدة قد كانت شديدة العذوبة والوالد البطل كان قدم ذاته لله كذبيحة لذلك بدل الشلل مجراه واستقر فيرأس الضحية الجليلة التي كان الرب قد قبلها.....".

ومع حسها العائلي العميق للغاية كتبت تريز لأختها ليوني التي ما تزال منغلقة وتعيسة رسالة مليئة بالرجاء تقول :" أعرف أن الأرض هي مكان منفانا ونحن مسافرتان تسيران الى وطنهما الأبدي وما هم ان لم تتبع الطريق نفسه ما دام القصد الوحيد سيكون السماء

هناك ستصير في لقاء لا فراق بعده وهناك سنتذوق للأبد أفراح العائلة وسنلتقي والدنا الحبيب ثانية وهو محاط بالمجد والكرامة لأجل أمانته الكاملة وخاصة لأجل ما تجرع من إذلال وسترى أمنا الطيبة تفرح بالمحن التي كانت من نصيبنا في غربة الحياه وسننعم بسعادتها وهي تتأمل بناتها الراهبات الخمس وستكون مع الملائكة الأربعة الصغار الذين ينتظروننا في السماء إكليلاً يزين جبين والدينا الحبيبين "؟.

ولم يكن لعائلة مرتان أية خصوبة من الناحية البشرية ولكن خصوبتها الروحية بدت عجيبة منذ سنة 1897 حتى هذا الحين مركزة بكليتها على الابنة الصغرى التي ولدت أخيراً وكانت أمها بعمر41 سنة ووالدها له من العمر 49 سنة.

وبعد تطويب لويس وزيلي مرتان كزوجين معاً سيمتد تأثيرهما الذي كان كبيراً منذ عشرات السنين على العائلات وسيكبر.

وفي كتاب صغير متين وبليغ ومرح وفيه الكثير من المعلومات أعاد زوجين معاصرين لهم أربعة أولاد قراءة المعلومات أعاد زوجين معاصرين لهم أربعة أولاد قراءة حياته عائلة مرتان من منظار القرن الواحد والعشرين.

ستكون خاتمتي من ختام كتابهم وان لم يكن الاسلوب اسلوبي المعتاد :" لم يكن لويس وزيلي مرتان اذاً لا ورد وفل ولا حزن حتى الموت لا " معاصرين معاصرين " ولا " نظرات خطرة " ولا ملائكة في السماء ولا شياطين خطرين لقد أحبوا وهذا كل شيء أحبوا كما حددت تريز وعاشته اذا أعطوا ما شيء حتى أعطوا ذاتهم بكليتها". في الواقع ستكتب ابنتهم في قصيدتها الطويلة هي بمثابة وصية لها في العذراء مريم في أيار سنة 1897 :" أن نحب هو أن نعطى كل شيء وهو أن نعطى ذواتنا ".

فهل هنا تحديد أبلغ وأجمل من هذا التحديد للحب ؟.

الأبوان في عائلة مرتان

درب من القداسة يحمل الايمان

الكردينال خوسيه سارابفا مارتنز ؟

زواج مؤسس على الصخر

اذ أقف اليوم في هذا المكان تغمرني نعمة الله وشعور عازم ونحن ي كنيسة سيدة ألنسون ببابها ذي الهندسة الغوطية وهو آية من الجمال أو كما تحبون القول : إنه كالدانتيل منحوت في الحجر بقطبة ألنسون حتى أنه قيل لي " لو أردنا جعل الله في أجمل مكان في الكنيسة فلا بد من وضعه على الباب.

أود أن أشكركم على دعوتكم لي اليوم في 12 تموز للمشاركة معكم في الذكرى المئة والخمسين لزواج خادمي الله المكرمين زيلي غيران ولويس مرتان . سأتجرأ على القول أنهما عاشا زواجاً وحياه صاغهما الخالق على أفضل وجه فكانا حجرين اختارهما الله حجرين كريمين نقشهما الروح القدس تماماً مثل قطبة ألنسون الشهيرة من أجل كنيسة الله وأبرشية بايو وليزيو وسي حيث عاشا وتوفياً .

زواج في المسيح احتفل الزوجان ببوبيلهما الذهبي في المسيح ثلاث مرات اذ يدوم منذ 150 عاماً مما يبرر استخدام تعبير " زواج مبنى على الصخر "كما قال الاسقف جان كلود بولانجيه على صفحة الانترنت الخاصة بالأبرشية وعندما تجوب طرقات وسط المدينة التاريخي متأملين

المناول الجميلة والشهيرة لا يسعى الا أن ألاحظ كم أن صورة الصخرة مناسبة للتعبير عن بساطة وصلابة حب الزوجين لويس وزيلي مرتان وإيمانهما.

واسمحوا لي أن أنقل إليكم كلمات شخص معاصر لابنتهما تريز هو المؤلف بول كلوديل (1868 –1955) الذي كتب في ديباجة بشارة مريم (lannoce a mane) " لا نختار الصخرة مكانها بل رب العمل هو من ينتقيها .... ليست القداسة ملاقاة الموت رشقاً بالحجارة على يد الأتراك ولا تقبيل الأبرص على فمهبل هي العمل بوصية الله فوراُ أكانت هذه الأخيرة تقضي بمبارحتنا مكاننا أو بالانطلاق نحو الأعلى ". اختار الله أل مرتان ليكونوا من هذا النوع من القديسين ولكي يلتزموا ببناء كنيسته وهنا تكم القداسة في الاسراع في عمل مشيئة الله أينما وضعنا ومبارحة مكاننا أو الانطلاق نحو الأعلى ".

الله هو القدوس هو الآب " الكلي القداسة ومنع كل قداسة وهو من يقدس الهبات والبرايا يفيض من روحه ". وبالتالي ليست القداسة كل القداسة الا انعكاسا لمجده أما عندما تقرر الكنيسة رفع شخص على مذابحها فهدفها الأول والأساس ليس الا الاخبار عن مجد الله ورجمته والاعلان عنهما وهي تعطي في الوقت عينيه شهادة للمؤمنين اذ تدعوهم الى الاقتداء بهذا الشخص واللجوء الى شفاعته.

وفي الثاني عشر من تموز 1858 في تمام الساعة العاشرة مساء عقد خادمي الله المكرمين لويس مرتان وزيلي غيران زواجاً مدنياً وبعد ذلك بساعتين عبر عتبة كنيسة الرعية حيث استقبلهما صديقهما الأب هوريل hurel لاحتفال بزواجهما في المسيح بحضور عدد محدود من الاصدقاء والأقرباء أما ليلتهما الأولى فتذكر بليلة الميلاد وليلة الفصح هي الليلة التي " وحدها" استحقت ان تعرف الوقت والساعة التي حصل فيها الحدث الذي عبر تاريخ البشرية هنا بدأ لويس وزيلي يكتبان نشيد حبهما .

زوجان رسوليان

بعد دخولها الى الكرمل كانت تريز تدعو شقيقتها سيلين الى رفع نشيد ابتهال الى المسيح بمناسبة ارتداها ثوب الكرمل :

" ارفعي عينيك الى الوطن المقدس

وسترين على عروش المجد

أبا محبوباً .... وأما حبيبة ....

أنت مدينة لهما بسعادتك العظيمة "

قبل كل شيء كان الزوجان لويس وزيلي اللذان يرفعهما البابا على مذابح الكنيسة قريبا ثنائيا اتحد في المسيح وعاش دعوته ناقلا الايمان بشغف وشاعراً بأهمية الواجب الذ أوكله اللّه اليه عاشا في حقبة فريدة من نوعها في هذا القرن التاسع عشر المختلف جذريا عن عصرنا لكنهما شهدا للمسيح والتزما عفوياً لا بل أجرؤ عل القول أيهما التزما بكيانهما بم نسميه اليون " التبشير بالإنجيل .

يمكننا بالتالي وصفهما ب " الزوجين الرسولين " شأنهما بشأن بريسيلا وأكيلا فقد التزما بصفتهما زوجين مسيحيين علمانيين في رسالة التبشير وبقيا على هذا الالتزام باقتناع وجدية طوال حياتهم في كتف عائلتهما وخارجها.

ووفق ما تقوله القديسة تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس ان هبة الذات لا تقاس في حياه هذين الأبوين "الفريدين" ولا تقتصر قداسة حياتهما وسمعة قداستهما على فترة زواجهما بل تعود إلى ما قبل ذلك اذ تطورت حياه كل واحد منهما وسط البحث عن اللّه في الصلاة وفي

رغبة عميقة في تحقيق مشيئته كلاهما كان قد اتجه قبل ذلك نحو الحياه المكرسة وكلاهما استعان بالمرشدين لتمييز دعوته.

ولا تنفك نندهش بكثرة أعمال البر والمحبة التي قام بها الزوجان في شوارع هذه المدينة. وقد شهد العديد من سكان ألنسون أكانوا من الأصدقاء أو الأقرباء مباشرة ل أعمال بذل الذات هذه وقد قاموا بالأدلاء بشهاداتهم في مرحلة جمع المعلومات عنهما من أجل دعوى التطويب وتهتم بها المحكمة أو اللجنة الكنيسة الرسمية التي تعمل على تطبيق معايير القداسة في الكنسة — أدلوا بشهاداتهم أولاً في ملف تطويب القديسة تريز ولاحقاً في ملف أبويها أما في لشهادات الخاصة بملف تريز فقد تكلم العديد من الأشخاص فيها عن أبويها وعن مزاياهما المسيحية.

ويكفي تصفح "قصة نفس " والتجوال في شوارع مدينتكم لاكتشاف الأماكن التي ترعرع فيها لويس وزيلي مرتان وتلقيا تنشئتهما الانسانية و المسيحية واعتنقا كل مهنته : عملت زيلي في شارع سان بليز في مهنته التخريم (وياء لجمال عملها !!) أما لويس فعمل في شارع الجسر الجديد كمشاعاتي هنا في هذه الشوارع تعمقا في ايمانهما وفكرا في وهب حياتهما لله لكن كان لهذا الأخير مشروعاً آخر وفي يوم من الايام التقيا على جسر سان ليونار لقد فتعارف فحب ثم تزوجا وباتا أبوين وفي هذه الكنيسة بالذات ولدت ابنتهما تريز في المسيح ما زال جرن المعمودية هو هو يمثل صدر الكنيسة الرحب، الكنيسة الأم ومربية القديسين أم فريدة من نوعها تجعل منا أبناء الواحد في تربة القداسة.

أما الأبواب في منزل آل مرتان فهي معروفة ليست مشرعة لكل من يقرعها وحسب بل قلب هذين الزوجين مشرع الأبواب أيضاً ملئ بالمحبة وجاهز لبذل الذات خلافاً لروح البورجوازية السائدة في ذلك العصر وتلك البنية التي كانت تخفي وراء مظاهر الايمان

الجشع وحب المال واحتقار الفقراء أما لويس وزيلي مع بنائهما الخمسة فكانوا يكرسون الوقت والمال لمساعدة المحتاجين.

وفي وثائق دعوى التطويب الخاصة بأبويها أدلت سيلين مرتان بشهادتها وتحدثت عن محبة أمها وأبيها للفقراء حتى لو كان لا بد من التوفير في المنزل كان بفيض الكرم عندما كان يتعلق الأمر بمساعدة الفقراء كنا نذهب ونبحث عنهم ونحثهم على الدخول الى منزلنا حيث نؤمن لهم المأكل والملبس والخدمة ونحثهم على الخير. لا زلت أذكر والدتي تعتني بعجوز فقير كنت في السابعة من عمرى في ذلك الوقت لكن هذا المشهد بقي محفوراً في ذاكرتي كنا مرة نمشي في الطبيعة وفجأة التقينا على الطرق بعجوز بدت عليه علامات البؤس.

أرسلت والدتي تريز لتغطية الصدقة فشعر بالامتنان أي درجة جعلت تريز تباشر بحديث معه فقالت عندها أنه وادتي أن يتبعنا الى المنزل . فحضرت له عشاء لأنه كان يتصور جوعاً وأعطته بعض الملابس وحذاء.... ثم أوصته بالعودة إلى منزلنا اذا احتاج الى أي شيء ". وتضيف سيلين عن أبيها قائلة : " كان والدي يحاول إيجاد عمل يتناسب مع وضعهم (الفقراء) ويدخلهم الى المستشفى اذا دعت الحاجة أو يؤمن لهم عملاً شريفاً .

بهه الطريقة ساعد زوجين من النبلاء الذين كانوا بحاجة اليه (...) في ليزيو وبالتحديد في اليويسونية كان الفقراء يأتون كل نهار اثنين صباحاً طالبين الصدقة كنا دائماً تعطيهم المال أو الطعام غالباً ما كانت تريز الصغيرة تحمل اليهم الصدقة وفي احدى المرات التقي والدي في الكنية بعجوز بدا فقيراً جداً فاصطحبه إلى منزلنا.

وقدمنا له الطعام وشتى الحاجيات وقبل أن يغادر طلب منه والدي أن يباركنا أي تريز وأنا كنا فتيات كبيرات في ذاك الوقت فجثونا أمامه وباركنا ".

أحداث مميزة جرت في هذا المكان الذات ! لسنا أمام مجرد شعور بالتعاطف بل أمام محبة تجاه الفقراء يعيشها المرء ببطولة وفقاً لروحانية إنجيل متى في هذين الزوجين المضيئين يشع نور من القداسة الأزلية التي تجدها على مر تاريخ الكنيسة.

رائحة القداسة

تعاقب الباباوات مهتمين بقضية القديسة تريز الطفل يسوع من القديس يبوس العاشر الى البابا بينيدكتوس الخامس عشر مروراً بالبابا يوحنا الثالث والعشرين وخادم الله البابا بولس العاشر والبابا يوحنا بولس الأول – الذي سأتكلم عنه لاحقاً – وصولا الى البابا يوحنا وبولس الثاني وقد سلطوا جميعاً الضوء على مثالية قداسة الوالدين مشددين على علاقة هذه الأخيرة بقداسة ابنتهما.

لا تعود قداسة الأبوين الى قداسة الأبوين الابنة بل هي قداسة شخصية أراداها وسعيا اليها سالكين درب الطاعة لمشيئة الآب الذي أراد لأبنائه أن يكونوا قديسين كما هو قدوس يمكننا بالتالي القول أن تريز هي أول " تلميذة" في مدرسة القداسة التي أنشأها أبواها وأنا أتكلم هنا عن القداسة بأصدق ما في هذه الكلمة من معنى وليس بطريقة مجازية غالباً ما تستخدم تريز كلمات مثل " قديس" " عادل" و" خادم الله" في الكلام عن أبيها لا تعجب بقدرات أهلها ورهافة مشاعرهما وشجاعتهما في العمل وحسب بل أيضاً في بإيمانهما ورجائهما وحبتهما وممارستهما لهذه الفضائل ببطولة الفضائل الروحية تركز على شتى العناصر التي تنظر فيهلا خلال دعوى تطريب.

ولو كان باستطاعتي فعل ذلك لأوصيت بها كشاهدة في الملف.

تدين الكنيسة للويس وزيلي اذ كانا معلمين حقيقيين ومثالي قداسة لابنهما تريز كما قاله بلتازار في كتابه " أخوات في الروح" لا تدرك تريز الا ما عاشته بطريقة أو بأخرى في عالم الواقع لعله ليس لديها ما هو أقرب إلى قلبها من حب أبيها وأمها فلذلك تتبع صورة الله المكونة لديها من محبتها كطفلة لوالديها مما يعني أنه في النهاية تدين للويس وزيلي بعقيدة " الدرب الصغير " و"الطفولة الروحية " لأنهما جعلا حيا في تريز الطفل يسوع هذا الالة الذي هو أكثر من أب وأم".

وتكتسب هذه الملاحظة أهمية كبيرة بالنسبة لبلتازار إذ توحي بوضوح أن عقيدة " الدرب الصغير " التي جعلت من تريز معلمة للكنيسة ملمة بمحبة الله تعود الى قداسة ومثالية حياه لويس وزيلي وفيما تستعد الكنيسة اليوم متناول الجميع مهما كانت خياراتنا وحياتنا وقد تكون هذه قداسة عظيمة.

ألا يجدر أن تكون هذه حقيقة كل أسره ؟ أليست العائلة مدعوة الى نقل سر الله الى أولادها هذا الالة الذي هو أكثر من أب وأم ؟ أليست العائلة مدرسة إنسانية حقيقية ومكان المتدرب على القداسة ؟وهي المكان الأفضل لبناء الشخصية والضمير لطالما كانت هذه دعوة الأزواج في العائلة المسيحية ومهمتهم.

وإن تعمقنا في الموضوع نلاحظ أن سمعة قداسة لزوجين وصلت الى شتى انحاء العالم الكاثوليكي كما يظهر من خلال الوثائق الكثيرة المفصلة والمتزايدة المتوافرة لدينا والتي لا تنفك تصلنا منذ أكثر كم 80 عام.

ولعلنا تدين بهذه الظاهرة الى القديسة تريز إذ يأتي كتاب " قصة نفس " الصادر في طبعته الأولى عام 1898 في المرتبة الثانية بعد الكتاب المقدس ومما يجعلنا نفهم صدى هذا الكتاب الواسع على لويس وزيلي مرتان ولا أظنني أخطئ في الكلام ان قلت أن العائلة

المقدسة تأتي في المرتبة الأول من حيث الشهرة وتليها عائلة مرتان القديسة مباشرة في المرتبة الثانية.

عندما كان خادم الله البابا يوحنا بولس الأول رئيس أساقفة البندقية (1969 – 1978) كتب في كتابه المعروف " رسائل الى المشاهير " قال : " عنما رأيت قضية تطويب أبوي القديسة تريز الطفل يسوع قلت في ذاتي :

" أخيراً قضية حول زوجين اثنين ! طوب الملك لويس قديساً من دون زوجته اثنين ! طوب الملك لويس قديسا من دون زوجته مارغريت وطوبت موانيك قديسة من دون زوجها باتريسيو أما زيلي غيران فستطأ عتبة القداسة الى جانب زوجها لويس وابتهما تريز ".

وحتى في سنة 1925 عندما أرسل البابا بيوس الحادي عشر الكردينال أنطونيو فيكو إلى ليزيو بصفته مبعوثا لترؤس الاحتفالات بمناسبة عيد القديسة تريز التي كانت قد طوبت منذ فترة وجيزة توجه بالكلام الى الأم آنيس ليسوع أي بولين الابنة الثانية قائلاً : " حان الوقت الآن الكلام " ان لم يكن لهذه القضية نتائج مباشرة فبسبب صدمة الأم آنيس ليسوع.

أبوان فريدان

كل من تصفح ولو سريعاً " قصة نفس " أحب هذين الأبوين الفريدين ولاحظ لا محال شخصيتهما الانسانية والروحية وكيف بنيا بحكمة الجو العائلي الذي نشأت فيه تريز أحب الجميع هذين الابوين الفريدين.

وتشهد رسائل زيلي العديدة على الطريقة التي تابعت فيها التنشئة الانسانية والمسيحية لدى كل عضو من عائلتها بدء بأخيها ايزودور قبل زواجها وبعده ومروراً بزوجة أخيها

سيلين فرنيي ووصولاً الى بنائها ولا يغيب حضور الله عن أي رسالة وهو ليس حضوراً رسمياً أو بدواعي الواجب بل حضوراً متأصلا في شتى جوانب الحياه وفي رسائل زيلي اعتناء رائع براحة كل شخص ونموه المتكامل مع العلم أن هذا الأخير لا يكتمل الا بحضور الله.

أما لويس فهو لا يحب الكتابة على عكس زوجته.

ولا يتلكأ في الاجهار والشهادة بإيمانه علنياً ولا يخشي السخرية في علاقاته مع زوجته وفي المنزل مع بنائه الخمسة وفي إداه عمله كساعاتي أو حتى مع أصدقائه أو في الشارع أو خلال السفر وفي كل مناسبة " الله أولاً ".

إنها عائلة مبشرة في طليعة مرحلة إعادة نشر الانجيل التي انطلقت في القرن العشرين متزامنة مع حركة نشر الايمان التي أطلقتها بولين جاريكو (1862–1799)

تعرفون أن لويس وزيلي سجلاً بناتهما في أعمال الطفولة الرسولية ونحتفظ حتى الآن بالصورة التذكارية لتسجيل القديسة تريز في 12 كانون الثاني 1882 وكانا يرسلان التبرعات السخية لبناء الكنائس في أرض الرسالات أما بالنسبة لتريز فساهمت المشاركة في صغرها في أعمال الطفولة الرسولية في توعية رغبتهما الرسولية وتنميتها.

لويس وزيلي قديسان ولذا قديسة وزوجان رسوليان لم يشاركنا في النهضة الرسولية المنتشرة في عهدهما وحسب بل ربيا شفيعة لمرسلين من أجل الكنيسة وقد أعلنت سنة 1927.

لويس وزيلي قديسان ليس فقط بفضل الطريقة التي اختاراها للمشاركة في التبشير فهذه الأخيرة هي تلك المعتمدة من قبل الكنيسة والمجتمع في تلك الحقبة بل هنا قديسان بفعل شهادة إيمانهما الذي عاشاه بجدية في عائلتهما فأما ينشر الانجيل بين بنائهما عبر المثل الصالح في حياتهما الزوجية ثم من خلال الكلمة والتعليم داخل المعاناة.

وفي هذا النطاق يكفي أن نذكر ما تخطه تريز نفسها في " قصة نفس " حول مشاعرها تجاه والديها . " ان تفاصيل مرض أمنا الحبيبة كلها لاتزال مائلة أمام قلبي وما زالت أذكر خاصة الاسابيع الاخيرة التي قضتها على الارض .

كنا سيلين وأنا مثل صغيرتين مسكينتين منفييتين وكانت السيدة لوريش توافينا كل صباح وتأخذنا لقضي النهار في منزلنا وذات يوم لم يتسن لنا أن نصلي قبل الخروج وفي الطريق همست سيلين في أذني وقالت :" أينبغي أن تقول بأننا لم تتل صلاتنا ؟" فأجبتها : "نعم عندها قالت ذلك بخجل للسيدة لوريش فأجابتنا : " إذاً يا بنتي الصغيرتين عليكما بها " ثم أدخلتنا غرفة كبيرة و انصرفت ... فنظرت الى سيلين وقلنا ... " آه " إنها ليست مثل ماما ... فإنها كانت تساعدنا دوما على تلاوة صلواتنا ....".

أما أبوها " ملكها " كما كانت تحب أن تبقيه فحل سحره الروحي على ابنته وكانت صورته كرجل توحى بالاحترام والتقدير :" وماذا عساني أقول عن سهرات الشتاء ولاسيما سهرات الأحد ؟ فمن كان يطيب لي بعد الفراغ من لعبة الدامة أن أجلس مع بولين على ركبتي يابا ! ....

وكان ينشد بصوته العذب أنغاماً مملاً النفس بالأفكار العميقة ... أو يهددنا برفق ويسره مقطوعات شعرية متبعة بالحقائق الأزلية ... بعد ذلك كنا نصعد لتلاوة الصلاة معاً والملكة الصغيرة وحدها بجانب ملكها حسبها أن تنظر اليه لتعرف كيف يصلى القديسون ".

مدخل الى المسيحية في كتف العائلة

يمكننا وصف المخطوط " أ " على أنه " المخطرط المدخل الى الحياه المسيحية وسط العائلة بالنسبة لتريز " مدخل حظى بجدية التعليم المدرسي فالإيمان بالنسبة لعائلة مرتان مسألة حياه وليس مجرد معايير ينبغي احترامها وفي الكلام عن تحضيرها لتقبل الأسرار تشكر تريز

في المخطوط أ عام 1895 أبويها المتوفين (توفيت أمها في 1977 وأبوها في 1894) وأيضاً شقيقاتها الكبيرات.

لا أودها أن أسلط الضوء على دور الأهل وحسب بل ايضاً على دور الشقيقات الكبريات أي على العائلة بأسرها تربي الأهل على تعاليم الكنيسة ونقلا بدورهما هذه التعاليم الى بنائهما وقاما بلك بجدارة كبيرة حتى استحقا أن تصبح ابتهما بعد أن تربت على هذه المدرسة وتلقت هذه التعاليم على يد هذين الأبوين " الفريدين " أن تعرف باسم القديسة تريزا الطفل يسوع الوجه الأقدس معلمة الكنيسة والبشرية بأسرها عام 1997 بعد أن تتلمذت على يد عائلتها باتت بدورها معلمة.

وإذ تطوب الكنيسة اليوم هذه العائلة هذا هو التحدي الذ توجهه الى شتى العائلات المسيحية .

لم يكن أعضاء هذه العائلة مجرد أداه تقلت الايمان كما تنقل القناه الماء عبر المجاري بل كانوا إناء فحملوا الايمان في قلوبهم ونقلوه بعد أن أغنوه بخيرتهم الشخصية الملآى بالأيمان والرجاء والمحبة . لم ينقلوا الايمان على أنه لم يكن إيماناً ينقل كأنه ارث آت من الأموات اذ لا يأتي هذا الأخير الا بعد الوفاه بل جعلوه بواسطة سر المعمودية بناتهم يدخلن في صلب حيوية الكنيسة لم يضعوا أنفسهم في مكان الكنيسة بل تعاونوا مع الكنيسة وفي الكنيسة في تناغم تام :

هنا مجدداً لا بد من ملاحظة تناسب قداسة هذين الزوجين مع المجمع الفاتيكاني الثاني وغيرها من الوثائق الكنيسة يخطر على بالي الدستور الراعوي فرح ورجاء حيث ورد في الفصل الخاص بقداسة الزواج والعائلة ما يلي :

" عندما يرون أهلهم يعطون المثال الصالح ويصولن معاً فلا يد للأطفال ومن يعيش في العائلة أن ينفتحوا بسهولة أكبر على المشاعر الانسانية ويجدوا طريق الخلاص والقداسة بطريقة أسهل" .

كيف لا ترى عائلة مرتان في هذا النص ؟ قد يفاجئنا هذا خاصة عندما نذكر بعد هذه الحقبة الزمنية عن عهدنا فمنذ 150عاماً وفي 12 حزيران 1858 كانت فرنسا تعيش في عهد الإمبراطورية الثانية ويصعب علينا نحن رجل ونساء الألفية الثالثة أن تتخيل حياتهم اليومية من دون كهرباء ولا مياه جارية ولا تدفئة ولا راديو ولا تلفاز ولا أي من وسائل الاتصال الحديثة التي تفصلنا عن شهادتهما تنظر الى القداسة وليس الشكل الذي وصلت إلينا فيه قد تكون قداستهما بعيدة عنا في الشكل وليس في الجوهر أو مضمون العقيدة عرف آل مرتان كيف يحفظون الخمرة الجيدة الى النهاية (و 2و10).

لا بل يمكننا على ضوء الوثائق الكنيسة التعريف عن هذين الروحين على أنهما عائلة ملتزمة في تبشير أبنائها.

وفي ذلك الوقت كان التبشير أقرب منه إلى التعليم المسيحي وتلقين المبادئ أما عقيدة الكنيسة فكانت تعلم في الأبرشية والعائلة عبر حفظ حقائق الايمان عن ظهر قلب وكانت الكنيسة في ذلك الوقت تتبع المناهج التعليمية التي تلجأ أساساً إلى الحفظ والتغيب. وفي المنزل تشهد عائلة مرتان – بأهلها وأبنائها وخذمها ومن يحوطها – بدور التبشير : فليس الزوجان من يلعب دوراً دون سواهما بل العائلة برمتها.

وفي الارشاد الرسولي إعلان الانجيل " يكتب البابا بولس السادس عن واقع عاشته عائلة مرتان في حياتهما اليومية :

" في الكلام عن رسالة التبشير لدى العلمانيين لا يسعنا إلا أن نسلط الضوء على عمل العائلة للتبشيري استحقت هذه الأخيرة على مر العصور اسم " الكنيسة البيتية " الذي أطلقه عليها المجمع الفاتيكاني الثاني ويعني هذا التعبير أنه لا بد من توفر مختلف أوجه الكنيسة جمعاء في كل عائلة مسيحية لا بد كذلك ان تكون العائلة تماماً مثل الكنيسة مساحة حيث ينقل الانجيل ويشع وفي عائلة مدركة لهذه الدعوة يبشر شتى أعضاء العائلة ويبشرون ولا ينقل الأهل الانجيل الى الأطفال بل يتلقون منهم هذا الانجيل الذي يعيشونه يعمق وتغدو عائلة كهذه مبشراً لعائلات أخرى في بيئتها ".

ولطالما كانت عائلة مرتان في منزلها على شارع الجسر الجديد ثم شارع سان بليز ومنزل البويسونية على الرغم من الانتقال المتكرر الى منازل جديدة " كنيسة بيئية صغيرة " وعاشت مرة أخرى في تناغم تام مع عصرها.

وبالنسبة لبناتهما الخمسة – توفي أربعة أطفال في سن مبكرة – كنف العائلة التي أسسها لويس وزيلي خير مكان لاختيار المحبة ونقل الايمان في المنزل في دفء كنف العائلة وفي الحياه الروحية اليومية كل أعطى وكل أخذ .

ووسط شتى المشاكل المهنية عرف الوالدان كيف ينقلان مبادئ الايمان الى أطفالهما منذ نعومة الأظفار وكانا أول من أدخل أولادهما عالم الصلاة والمحبة ومعرفة الله فأديا الصلاة وحدهما أو مع بعضهما البعض على مرأى من بناتهما وذهبا معهن إلى القداس أو للسجود أمام القربان المقدس علما الصلاة ليس عبر مجرد الكلام عن واجب أدائها بل عبر تحويل المنزل الى مدرسة صلاة علما بناتهما أهمية البقاء الى جانب يسوع عبر الاصغاء إلى الأناجيل التي تحدثنا عنه ونمت كذلك الحياة الروحية بعد ان شربت منذ الطفولة من مياه نبع

الحياه الرعوية كما كانت الحال بالنسبة الى زيلي ولويس اذ كانا من قراء " السنة الليتورجيا " للأب غير انجيه والتي كانت تريز تحبها أيضاً وقد تعرفت إليها في المنزل.

يكتشف لويس وزيلي لنا النقاب عن حقيقة بسيطة جداً فالقداسة المسيحية ليست مهنة لا يعتنقها إلا عدد ضئيل من الناس بل هي دعوة طبيعية لكل شخص وكل معمد يقول لنا لويس وزيلي ان القداسة هي لكل امرأة ورجل وطفل في شتى جوانب الحياه من هموم العمل إلى الجنس وليس القديس رجلاً جياراً بل انساناً حقيقياً .

وفي الرابع من نيسان 1957 تكلمت سيلين في شهادتها حول بطولة فضائل أبيها قالت : " جمال حياه روحية عاشها كلها من أجل الله وحده بعيداً عن كل أنانية أو انطواء على الذات ان كان خادم الله هذا يرغب بأطفال فلكي يهبهم الله من دون أي حفظ وكل ذلك وسط بساطة حياه عادية جاهدة مليئة بالصعاب التي تقبلها باستسلام وثقة بالعناية الالهية.

أنهي حديثي بالكلمات الختامية حول اعلان فصائل لويس وزيلي في 13 تشرين الاول 1987 :

نحن أمام زوجين وعائلة عاشت في تناغم تام مع الانجيل وكرست كل دقيقة من اليوم سعياً لتنفيذ المشروع الذي حضره لها الله سألوه فسمعوا صوته فتقدموا على درب الكمال ولم يقم لويس وزيلي مرتان بالأفعال الباهرة ولم يشع تجمهما في العالم الرسولي لكنهما عاها الحياه اليومية ككل عائلة على ضوء الالة والروح ونورهما وهذا هو الجانب المركزي ذات البعد الكنسي تقدمه اليوم للعائلات كمثال في عصرنا الحاضران والتوجيه من أجل تفادي العملنة المعاصرة والانتصار على الكثير من الصعاب ونرى هبة الحب الزوجي الذي يرافقها هبة الأبوة والأمومة على ضوء نعمة الله لا تقاس ".

القداسة المسيحية : سحر إنساني

الكردينال خوسيه ايفا مارتنز

أخوتي وأخواتي الاعزاء

أردت أن استهل هذه لكلمة بكلمات تريز نفسها عندما تصف الجو العائلي التي ترعرعت فيه.

العائلة من القرن التاسع عشر حتى أيامنا هذه

عندما تخلو السماء من الله، تعج الأرض بالآلهة الزائفة منذ القرن التاسع عشر الذي عاشت فيه عائلة مرتان : ساد تيار يقضي بالتغاضي عن التربية في العائلة وتسليمها إلى القطاع الاقتصادي والاجتماعي وقد أكد المؤلف شارل بيغي المولود خمسة أيام بعد تريز على ذلك وكاتما في نبوءة إذ كتب :" الطفل المسيحي ليس إلا طفلاً رأى أمام عننيه آلاف المرات طفولة يسوع " ففي الألحان والكلمات اليومية مازلنا تجد رحيق هذا الشعب المسيحي الذي كان يمشي ويتلو الألحان " " وتسود فيه الروح نفسها أكان أبناؤه يقششون الكراسي أو يبنون الكاتدرائيات "

لكن لا يمكننا القول أن شارل يبغي في صغره ينطبق عليه وصف الطفل المسيحي الذي أعطاه فيما بات راشداً ففي جواره وفي بيته العائلية والمدرسية وخلافاً لعائلة مرتان لا أحد يعيش وعيناه متجهتان بمحبة نحو يسوع.

يستمر هذا الرفض للأبوة خلال القرن العشرين على نسق أكثر تعقيداً وذلك أساساً عبر الانخراط في النماذج التوتاليتارية الكبرى الت تهدف الى الحلول محل العائلة عبر تسليم التربية الى الدولة التوتاليتارية شيوعية كانت أو قومية — اشتراكية – تستمر هذا الفقدان مما أدى الى تراجع صورة الأب وانحلالها في المجتمع لاستهلاكي حيث دخلت المظاهر وحب النجاح في تربية الأطفال

التربية مسألة شهادة

من دون خطابات طويلة ولا عظات قام السيد مرتان وإدخال تريز الى المعنى الأسمى للوجود كان لويس وزيلي مربيين لأنهما لم يعانيا مشكلة التربية.

العائلة اليوم : الحب مريض في العائلة

في بداية هذا العام 2008 نشرت الصحيفة الايطالية " صباح نابولي " نهار الاثنين 14 كانون الثاني مقالاً للمؤلف كلود ريزي تحت عنوان " الحب مريض في العائلة " الحب مريض وكذلك العائلة حيث يختبر كل إنسان لأول مرة الحب المتبادل ففي العائلة اليوم الطفل تحول الى عرض بالنسبة للأهل شأنه شأن الأغراض الأخرى وعليه بالتالي أن يكسب من خلال المضاربة مع الأشياء الأخرى ليتصدر قائمة أولويات محبة أهله.

عائلة استثنائية : شهادة البنات في عائلة مرتان

إليكم شهادة إحدى الفتيات من عائلة مرتان :

" لقد ارتضى الله بأن يحوطني بالحب طوال حياتي

فذكرياتي الأولى مطبوعة بالبسمات وبأرق العواطف ..."

هذه أجمل صورة للمكرمين لوبس مرتان وزيلي غيران على لسان أشهر بناتهما القديسة تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس في أول صفحات " قصة نفس " حيث تصف لنا فرح الحياه العائلية وجمالها رأت أصغر معلمة للكنيسة تريز عائلتها على أنها تربة خصبة في حديقة " أرضا مقدسة " نمت فيها وترعرت مع شقيقاتها تحت إدارة أبويها الفريدين الحكيمة والنبرة وفي رسالة الى الأب بيليي قبل بضعة أشهر من وفاتها تكتب تريز :" لقد وهبني الرب أبا وأما أكثر استحقاقاً للسماء منه للأرض ".

ولم تتشارك البنات في هذا الرأي حول قداسة الأبوين وحسب بل ساد كذلك الحديث بين أعضاء العائلة وغيرهم من الأشخاص عن قداسة الزوجين لويس وزيلي بعد مرور 14 عاماً على وفاه زيلي وفي رسالة تعود الى 1891 كتب الخالة سيلين غيران الى تريز في الكرمل :

"ماذا فعلت لأستحق أن يغمرني الى آخر نظرة رمقتني بها أم أحبيتها كثيراً كثيراً ظننتني فهمت هذه النظرة التي لن أنساها يوماً اذ باتت محفورة في قلبي منذ ذلك اليوم حاولت أن أنوب مكان هذه الأم التي أخذها الله منك لكن يا للحسرة ! لا شيء يحل مكان أم !.

من خيار لدي ! أنتمي إلى عائلة من القديسين وعلى ان أكون على مستوى الجمل ".

ليس لويس وزيلي قديسان لأنهما ولدا قديسة بل لأنهما كانا يوقان إلى القداسة بصفتهما زوجين في قليهما رغبة متبادلة وإرادة للسعي الى معرفة مشيئته الله وإطاعتها ضمن الحياه التي اختاراها :" كونوا قديسين لأنني قدوس " لويس وزيلي مرتان هما التربة الأرض الخصبة التي ولدت وتزرعت فيها تريز لمدة خمسة عشر عاماً قبل أن تغدو أكثر قديسة في عصرنا الحديث ".

حياه عادية غير اعتيادية

لويس وزيلي مثال نير يضرب عن الوفاء والترحيب بالحياة وتربية الأطفال في الحياه الزوجية عاشا زواجهما المسيحي بثقة تامة في الله وقد باتا مثالا نضربه على العائلات المسيحية اليوم اتسمت حياتهما الزوجية بالمثالية وامتلأت بالفضيلة المسيحية والحكمة البشرية.

وعندما نقول " مثالية " لا نعنى البتة انه علينا أن تنقل ونستنسخ أدنى تصرفاتها وأعمالهما بل أنه علينا أن تستخدم مثلهما الوسائل الغبية التي تضعها الكنيسة بين أيدي لكل مسيحي من أجل الوصول الى القداسة وقد شاءت العناية الالهية أن يتم تطويبهما ضمن إطار الاحتفالات بمناسبة عيد زواجهما في 12 تموز1858

لماذا التطويب بعد كل هذا الوقت ؟ أليست هذه العائلة بعيدة عن عصرا ؟ كيف يمكننا اعتبار عائلة مرتان معاصرة لنا ؟ هل يمكنها مساعدة عائلانا على تخطى الصعاب ومواجهة التحديات اليوم ؟

أنا متأكد من أن جدلاً واسعاً سيفتح حول هذين الزوجين وتطويبهما القريب سيحاول الكثيرون عبر مؤتمرات ونقاشات وطاولات مستديرة تحديد تطابق خبرتهم مع واقعنا المعقد لا بد من تسليط الضوء على نقطة مهمة فمن خلال آل مرتان تعرض الكنيسة أمام المؤمنين القداسة والكمال المسيحي الذي توصل البه هذين الزوجين بشكل مثالي لا بل بشكل بطولي بحسب ما ورد في دعوى التطويب ولم تهتم لكنيسة بما هو استثنائي بل شددت على كونهما " ملح الأرض ونور العالم " (متى 5، 13–14) في حياتهما اليومية كان يقول خادم الله يوحنا بولس الثاني :" لا بد لما هو يطولني ان يغدو يومياً كما لا بد لما هو يوم أن يغدو بطولياً أثبتت الكنيسة أن لويس وزيلي مرتان جعلا في حياتهما اليومية شيئاً من البطولة ومن البطولة أمراً يومياً وهذا ممكن لكل مسيحي مهما كان وضعه بطيب لي هذا أن أقتبس مقطعاً من " الرسالة الى ديوغنيتس " حول الزواج المسيحي الذي جسده آل مرتان بامتياز :

" لا يتميز المسيحيون عن غيرهم من البشر لا بالمسكن ولا بالملبس ولا باللغة (...) يتزوجون الاولاد شأنهم شأن سائر البشر الا أنهم لا يتخلون عن المواليد الجدد يعيشون في الجسد وليس بحسب الجسد يمضون حياتهم على الارض لكنهم من سكان السماء يطيعون القوانين السائدة لكن طريقة عيشتهم تفوق القوانين".

تعرض هذه الرسالة نموذج حياة واقعي وممكن بل قل انها ريق يدعى كل تلمي ليسوع الى سلوكه اليوم : هذه الرسالة هي الاعلان عن جمال الزواج المسيحي بخيراته الاصيلة ذات المصداقية والجاذبية أما بغية التوصل الى ذلك فلا بد من أزواج وأهل نضجوا في الحب اختار لويس وزيلي الحياه الزوجية ليتبعا المسيح فالزواج والشراكة والابوة في المسيح تعني قبول الزواج على انه نداء ودعوة من الله بحياتهما بشر لويس وزيلي بالإنجيل والحب في المسيح

: الحب المتواضع الحب الذي لا يألون جهداً ليعود وينهض في كل صباح الحب القادر على الثقة والتضحية تبرز هذه المشاركة بوضوح في الرسائل بين الزوجين.

في أسفل إحدى هذه الرسائل الصغيرة التي يمكننا اعتبارها حصيلة الحب الزوجي ينهي لويس بما يلي :

" زوجتك وصديقك الذي يحيك مدى الحياة " تجد هذه الكلمات صدى في قلب زيلي التي ترد عليه قائلة :" تتبعك روحي طوال النهار : أقول في ذاتي :"الآن هو يفعل كذا "

كم يطول الوقت قبل ان تعود الى يا لويس الحبيب احبك من كل قلبي واشعر يحيي يتضاعف بكم غيابك : لا استطيع العيش من دونك " .

أين يكمن سر هذه المشاركة ؟ ربما في أنهما قبل النظر في عيني بعضهما البعض كانا يحدقان في عيني المسيح.

كانا يعيشان المشاركة المتبادلة كسر كنسي من خلال المشاركة التي يعيشانها مع الله.

هذا هو " نشيد الأناشيد " الجديد الذي ينشده الأزواج المسيحيين : عليهم أن ينشدوه ووحدهم من يستطيع انشاءه فالحب المسيحي " نشيد أناشيد " ينشدانه مع الله .

الدعوة في العائلة

الدعوة مبادرة إلهية قبل كل شيء لكن التربية الصالحة تشجع على الاستجابة بكرم لدعوة اله :" على الوالدين في نطاق الأشرة أن يكونوا لأبنائهم في شؤون الايمان أول المعلمين بالقول والمثال وأن يعنوا بدعوة كل منهم ولاسيما الدعوة للحياة المكرسة(تعليم الكنيسة الكاثوليكية 1656) ويقول البابا يوحنا بولس الثاني أنه ان لم يعش الأهل القيم الانجيلية في حياتهم

سيصعب بالتالي على الشباب والشابات سماع نداء الله وفهم ضرورة التضحية وتقدير جمال الهدف المرجو في العائلة يختبر الشباب لأول مرة القيم الانجيلية وخاصة الحب الذي يوهب الله وللغير لابد أن ينشأ الأطفال ويتعلموا كيف يكونون مسؤولين عن حريتهم لكي يعيشوا كل وفقاً لدعوته أعلى الحقائق الروحية .(الارشاد الرسولي الحياة المكرسة ").

تقبل الزوجان كل أطفالهم على أنهم عطية كبيرة من الله عاد هذا الأخير وأخذها منهما تحطم فؤاد الأم فيما قدمت أطفالها الأربعة الذين توفوا في سن مبكرة أما الأب فقد قام بناته الخمسة لدى دخولهن لدير من أجل أولادهما تقبلا آلام المخاض الجسدي لكن أيضاً آلام المخاض الروحي الذي يولد الايمان يصور فيهم المسيح (غلاطية 19.4)

كانا معلمين حقيقيين في الحياه وأبوين قديسين ولدا قديسين فإذا عائلتهما وربياها على درب القداسة كانت عائلة مرتان شأنها العائلة المقدسة مكانا للتعلم والتدرب على الفضيلة عائلة ستغدو مرجعاً لكل عائلة مسيحية

شهود الحب الزوجي

الكردينال خوسيه سارايفا مارتتز 16

" لتكونوا بلا لوم وأبناء الله بلا عيب في جيل ضال فاسد تضيئون فيه ضياء النيرات في الكون متمسكين بكلمة الحياه ☹ فيليبي 2 16-15)

حضرت الأخوة في الاسقفية والكهنوت،

حضرات ممثلي السلطات،

أعزاءي الحجاج والاخوة والأخوات في المسيح،

" استحقاقاً للسماء "

كتبت تريز في " قصة نفس": " سامحني يا يسوع إذا هذيت وأنا اردد رغباتي وآمالي التي تلامس اللانهاية اغفر لي واشف نفسي بمنحها ما ترجوه !!! لطالما لبي يسوع رغبات تريز حتى أنه فاض كرماً تجاهها حتى قبل ولادتها وقد قالته بنفسها للأب بيلير في جملة بات الجمع يعرفها عن ظهر قلب : " لقد وهبني الرب أبا وأما أكثر استحقاقا للسماء منه للأرض ".

لقد انتهت للتو رتبة التطويب حيث يسجل الحبر الأعظم اسم الزوجين جنباً اتلى جنب في سفر الطوباويين.

يا له من حدث ! حدث تطويب لويس وزيلي مرتان التي كانت تقول تريز عنهما :" أبوين فريدين يستحقان السماء أرضاً مقدسة يسود فيها رحيق القداسة.

يفيض قلبي ابتهالاً بهذه الشهادة حول حب زوجي مثالي قادر على حث العائلات المسيحية على ممارسة الفضائل المسيحية برمتها تماماً مقل ما ولد في تريز رغبتها في القداسة.

فيما كنت أقرا رسالة الحبر الأعظم الرسولية كنت أفكر في والدي ليتكم الآن تفكرون بوالدكم ووالدتكم والتشكر الرب سوياً لأنه خلقنا مسيحين عبر حب والدينا الزوجي فيا الجمال استقبال حياة جديدة في كتف العائلة ! لكن الأجمل هو أن يقودنا أهلنا الى الكنيسة القادرة على ان تجعل منا مسيحيين اذ لا أحد يصبح مسيحياً من تلقاء نفسه.

أولاد من محافظة النورماندي: نعمة الجميع

من بين شتى الدعوات التي تدعو اليها العناية الالهية الزواج هو إحدى الأنبل والاسمى وقد فهم لويس وزيلي أنهما يستطيعان تقديس أنفسهما لا على الرغم من الزواج بل فيه ومن خلاله وان لا يدلهما من اعتبار زواجهما نقطة انطلاق نحو الأعلى فيصعدان مع بعضهما البعض ولا تنفك اليوم الكنيسة تعجب بقداسة هذين المولودين من محافظة النور ماندي وتعتبرهما هبة لنا جميعاً كما أنها تنظر الى نفسها عبر مرآة هذين الطوباويين الذين ساها في

جعل فستان عرس الكنيسة العروس أكثر بهاء وجمالا ول تنفك تعجب بقداسة حياتهما بل تعترف في هذين الشخصيين بقداسة مؤسسة الحب الزجي كما ارتآها الخالق نفسه.

الحب الزوجي ين لويس وزيلي انكاس تام الحب المسيح لكنيسته وهو بالتالي كذلك انعكاس للحب الذي تكنه الكنيسة لعروسها : المسيح ذلك أن الله اختارنا قبل انشاء العالم لنكون في نظرة قديسين بلا عيب في المحبة ".(أفسس 4,1).

" باتوا نورا للعالم "

شهد لويس وزيلي على الالتزام الانجيلي في دعوة الزواج بحذافيرها وصولاً الى البطولة لم يخشيا الضغط على نفسيهما من أجل انتزاع ملكوت السماوات فغذوا اليوم نور العالم وتضعهما اليوم الكنيسة " على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت يضيء نورهما هكذا للناس فيروا أعمالهما الصالحة فيمجدوا أباهما الذي في السماوات " لا يخفي مثال الحياة المسيحية الذي أعطياه اذ هو ك " مدينة قائمة على جبل "(متى 5 13–16).

" ما رأيك يا معلم "

ما هو سر نجاح حياتهما المسيحية ؟ " قد بين لك أيها الانسان ما هوا صالح وما يطلب منك الرب إنما هو أن تجري الحكم وتحب الرحمة وتسير بتواضع مع إلهك ". (ميخا 6.8) سار لويس وزيلي بتواضع مع الله بحثاً عن رأي الله ما رأيك يا معلم ؟ كانا يبحثان عن رأي الرب.

كانت نفسهما عطشى الى سماع رأي الله أحبا رأي الله وامتثلا به من دون تأفف ومن أجل التأكد من أنهما يمشيان فعلاً وقفاً لرأى الرب لجأ الى الكنيسة خبيرة البشرية وجعلا شتى جوانب حياتهما مطابقة لتعاليمها .

" الله أولا"

ميز لويس وزيلي مرتان بوضوح بين ما هو لقيصر وما هو لله. كانت تقول القديسة جان دارك :" الله أولاً وقد اتخذت عائلة مرتان هذه المقولة شعاراً لها "احتل الله دوماً المرتبة الأولى في حياتهم غالباً ما كان السيدة مرتان تقول :" الله هو السيد يفعل ما يشاء " ويثني السيد مرتان على كلامها قائلاً : " الله أولاً " أما عندما قرعت الصعاب باب المنزل لطالما تقبل الزوجان هذه الارادة الالهية بعفوية عندما كذلك الله في الفقراء لا يداع من الكرم ولا العدالة الاجتماعية بل لأن كل فقير هو المسيح.

فخدمة الفقير هي خدمة المسيح هي اعادة ما هو لله لله اذ " كل ما صنعتم شيئاً من ذلك لواحد من اخوتي هؤلاء الصغار فلي قد صنعتموه "(متى 25، 34-40).

السماء " آهله بالنفوس "

بعد يضع دقائق سنتلو قانون الايمان الذي كرره لويس وزيلي مرتان طوال حياتهما في القداس وعلماه لأولادهما.

كانت تقول تريز : " كنت أؤمن أحس بأن ثمة سماء وان هذه السماء آهله بنفوس تحبني وتعدني ابنه لها ".

في هذه السماء الآهلة بالنفوس نذكر اليوم الطوباويين لويس وريلي ونضرع لهما لأول مرة علناً : صلوا الله لأجلنا يا لويس وزيلي : نسالكما ان تحابتنا وتتخذانا أطفالا لكما وان تحبا الكنيسة جمعا وخاصة عائلاتنا وأطفالنا.

لويس وزيلي هبة لكل الازواج مهما كان العصر والعمر اذا أحبا بعضهم البعض بتقدير واحترام تناغم لمدة 149 عاماً كانت زيلي تكتب لزوجها : " لا استطيع العيش من دونك با لويس العزيز :" أما لويس فكان يجيب : " أنا زوجك وصديقك الذي يحبك مدى الحياه . عاشا وعد الزواج والوفاء في الالتزام والعلاقات المتينة وأطفال الحب في الفرح والصعاب في الصحة وفي المرض.

لويس وزيلي هبة من أجل الأهل علما المحبة والحياه وولدا أطفالا ووهباهم للرب وضمن هؤلاء الأطفال يذهب اعجابنا أولا ال تريز تحفة النعم الالهية وتحفة حب لويس وزيلي تجاه الأطفال والحياه.

لويس وزيلي هبة لكل من فقد رفيقاً فالأرمل يعيش دوماً وسط ظروف صعبة أما لويس فعاش فقدان زوجته وإيمان وكرم واضعاً سعادة أولاده قبل رغباته الشخصية .

لويس وزيلي هبة لكل من قاسى المرض والموت.

توفيت زيلي من جراء سرطان أما لويس فأنهى حياته طريح مرض تصلب شرايين الدماغ. في عالمنا الذي يسعى للتخلص من الموت يعلماننا كيفية النظر اليه عبر الاستلام لله.

مثال لعائلة رسولية

نهاية أرفع التسبيح لله في يوم الرسالات هذا لأن لويس وزيلي مثالاً يضرب على العائلات الرسولية هذا هو السبب الذي دعا الحبر الاعظم الى تطويبهما في هذا النهار العزيز على قلب الكنيسة الجامعة وكأنما بهذه المبادرة يسلط الضوء على الصلة بين لويس وزيلي المعلمين وابنتهما تريز شفيعة الرسالات ومعلمة الكنيسة .

أما عن الروح الرسولية السائدة في كتف العائلة فيتفق أعضاء عائلة مرتان على اعطاء شهادات مدهشة عنها : " كثيراً ما اهتم والدي بخلاص النفوس .... لكن أشهر الرسالة التي كانت معروفة بحركة نشر الايمان كان يكرس لها والدي هبة كريمة في كل عام. كانا يفكران دوماً بالأزواج مما جعلهما يرغبان يا بن مرسل أو بنتات مكرسات ". وقد كتب مؤخراً الكردينال دباس رئيس مجمع انتشار الايمان : " نشر الانجيل ليس إمكانية بل وصية من الله بالنسبة لكل تلميذ للمسيح ... على كل مسيحي أن يعتبر نفسه مرسلاً (..) لينشر الانجيل في كل قلب وكل منزل وكل ثقافة ".

نصلي، أيها الاخوة لتكون عائلاتهم ورعايتكم وجماعاتكم الدينية في النور ماندي وفرنسا والعالم أجمع... عائلات رسولية شأن عائلة لويس وزيلي مرتان الطوباويين آمين.

عظة قداس الشكر

الكردينال بول بوبار

حضرة الأسقف حضرة الأخوة الآباء حضرة الحجاج مع الكنيسة جمعاء يغمرنا اليوم فرح عميق فيما نحتفل هذا الصباح يقدسا الشكر بعد اعلان الطوباويين الجديدين لويس وزيلي مرتان وكما انشدنا في المزمور 36 : " توكل على الله ومارس الاحسان اسكن الأرض وارع بأمان ولتنعم بالرب نفسك فيعطيك بغية قلبك.

فوض إلى الرب طريقك وتؤكل عليه وهو يدبر أمرك ليست حياه لويس وزيلي مارتان الساعاتي والمطرزة الا تجسيداً وضعا ثقتهما في الله في السراء والضراء في هذا الرب اللذان صليا له صباحاً ومساءً في عائلتهما هذا الإله الذي تعبداً له واستقبلاه في جسدهما و زوجهما في المناولة اليومية هذا الالة مصدر الحياه الجسدية والروحية في قلب الحياه العائلية ولا يغيب عن بالي أن المسيح بنفسه اختار عرشاً في قانا الخليل ليصنع أول أعجوبة له بناء لطلب والدته وانطلق بعدها من حفلة زواج جمعت شخصيين في مهمته التبشيرية هذا الزواج الذي كرسه المسيح سراً اتحد فيه لويس وزيلي بإيمان منذ 150 عاماً في 12 تموز 1858 ثم عاشا حبهما في آلانسون واهباً كل نفسه للآخر ومتقبلا من الله بفرح ثمار هذا الحب.

عرفا فرحا لابل فرحاً كبيراً وقاسا الكثير أيضاً رزقا بأولاد (تسعة أولاد) لكن شاءت المشيئة الالهية أن يأتي أنين أجراس الحداد ليحل مكان قرع أجراس الفرح أربع مرات : توفى أربعة من هؤلاء الصغار في ست مبكرة أما الفتيات الخمسة فدخلن جميعهن الدير تقبل لويس وزيلي مارتان بإيمان كل ما أتى من يد الله وقدما له بقلب واحد آلامهما وأفراحهما الكبيرة بعد وفاه عزيزته زيلي التي دعاها الرب إليه باكراً كرس لويس مارتان نفسه لتربية بناته وتقبل بروح التقاني نفسها دخولهن جميعاً الى الكرمل هذه هي عائلة مارتان عائلة على رأسها طوبويان من أليسون وليزيو عائلة فرنسية كاثوليكية وأولادها الكثر تعرضها اليوم الكنيسة لنا مثالاً وموضع تكريم.

" أيها الأحباء فلنحب بعضنا بعضا لن المحبة من الله لأن الله محبة ان الله ما عاينه أحد فقط فإذا أحب بعضا بعضا فالله فينا مقيم ومحبته فينا مكتملة (رسالة يوحنا الأولي 4، 7–13) عاش لويس وزيلي الطوباويان تعاليم رسالة يوحنا الاولى التي استمعنا اليها للتو كقراءة ثابتة في قداس الشكر هذا بحذافيرها أحبا الله كما يريد هذا الأخير ان يحب أي من دون تلكؤ وبكل فلبهما يقول لنا يسوع : "أحبب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قوتك وأحب قريبك حبك لنفسك ولا وصية أخرى أكبر من هاتين " وقد عمل لويس وزيلي بهما فحب الله لا يلغي حب الأخر بل الله نفسه من يوصى بأن نحب الآخر أحب لويس وزيلي الله من كل قلبهما وكل نفسهما وكل قوتهما وبالطريقة نفسها والشغف نفسه أحبا بعضهما البعض وأحيا الأطفال لذين وهبهما اياهما الله والأطفال الذين أخذهم والأطفال الذين وهبوا أنفسهم لله.

قالت تريز الصغيرة ثمرة حب لويس وزيلي ووليدة خضوبهما الجسدية والروحية " من يحب يعطى كل شيء بل يعطى ذاته " بهذه الكلمات لخصت تريز حياه أهلها اليومية بأفراحها وأجزناها شأن العائلات الأخرى .

أما اليوم فتعرض علينا الكنيسة مثال هذه العائلة بالذات لنتأمله ونجعله موضع شكرناه ونلتمس منها مع شتى عائلات العالم نعمة عيش الحياه الزوجية والعائلية في الحب المتبادل اذي يغدو حياً مضاعفاً وسط الاحترام المتبادل ومع قدوم الأطفال الذين يحملون الفرح والألم في آن واحد وتربيتهم وما يتبعها من بسط ومن فقدان للأوهام – ونعرف عبر رسائل زيلي ورسائل بناتها كم عانت مع " المسكينة ليوني " كما كانت تسمى في الرسائل – وقلة الفهم والأمراض والمشاكل المادية وكل ما يشكل الخبر اليومي لكل عائلة .

ولم تخل الحياه من الصعاب لابل يحوز القول أن الحياه أغرقتهما بالصعاب ففي البداية هناك الصعوبات الشخصية التي عانى منها كل من زيلي ولويس عندما كانا يبحثان وسط الصعاب عن دعوتهما كل لوحده وثم عندما التزما مع بعضهما البعض ثم كان هناك صعوبة التوفيق بين مهنتيهما : التخريم والساعات ى(وهنا لويس هو من سيضحي من أجل زيلي) وصعوبة القيام بشتى المهام العائلية والمهينة لزيلي التي تكاد في بعض الأحيان لا تعرف من أين تبدأ أو حتى تكاد تنهار بحسب ما يظهر في رسائلها التي تخطها بأسلوبها الحي والفرح،

والتي توفر لنا مدخلا الى ثنايا حياه هذه الأم المسؤولة عن عائلة كبيرة وعن عمالها مما يقضي بأن نذهب بحثا عن الزبائن.

واسمحوا لي أن أشارككم بسر : منذ حوالي نصف قرن كنت لا زلت مراهقاً وقارئاً شغوفاً وكنت قد قرأت بلهف في الوقت نفسه "قصة نفس " للقديسة تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس وتاريخ عائلة للأب جان بيات.

أحببت كليهما وكأنني منذ صغرى وافقت المؤلف شارل ببغي الرأي عندما يقول : "لأن ما هو روحي هو جسدي كذلك ولشجرة النعمة جذور عميقة " ليست القداسة مفهوماً غابراً هبط

فجأة من السماء بل هي تنمو من تربة أرضية تخصبها النعمة أشعر بامتنان كبير تجاه البابا بندكتوس السادس عشر لأنه يسمح لنا اليوم بتكريم هذين الطوباويين الجديدين وسأبوح لكم بسر آخر ان سمحتم لي : منذ سنوات كنت قد سألت البابا الراحل يوحنا بولس الثاني الذي تشرفت بالعمل كمعاون له خلال مقابلة ودية : لماذا لا يتم تطويب أهل القديسة تريز ؟ فرفع يديه نحو السماء قائلاً :" يا ليتني استطيع فعل ذلك ! لكنهما لم يصنعا أي أعجوبة !" الحمد لله لم تعد هذه مشكلة الآن.

كرس لويس وزيلي أنفسهما بحب لتربية أولادهما لم يكتفيا بوهبهم الحياه بل نقلا اليهم الايمان وفتحا قلبهم لله وكانا مثالا حبباً للحياة المسيحية وكما تقول تريز : لم أحظ الا بمثال جيد في المنزل فأردت ان اتبعه " وتثنى أختها سيلين عل هذا الكلام قائلة :" لم أر يوماً احدانا المثال الصالح يدعو الى التقليد وقد وصلتنا شهادة تريز عبر احدى رسائلها للأب بيلير :" لقد وهبني الرب أبا وأما أكثر استحقاقاً للسماء منه للأرض " أنا الأم آنيين فقالت في شهادتها في دعوى التطويب الخاصة بشقيقتها :" لطالما بدا لي أبواي قديسان كان قلبنا ملء بالاحترام والاعجاب بهما ".

بين لويس وزيلي حب كبير تقول زيلي عن زوجها :" يا له من رجل قديس أتمنى لكل امرأة زوجاً مثله" وفيما يكون لويس مسافراً تكتب له : كم اشتاق لأن أكون الى جانبك يا لويس العزيز أحبك من كل قلبي ويزيد شوقي اليك بحكم بعد لا استطيع العيش من دونك " وتكتب أيضاً "أكاد أعجز عن العمل لكثرة فرحتي اذ أنني سأراك اليوم زوجتك التي تحبك أكثر من الحياه" أما لويس فلا يعبر عن مشاعر مثل زوجته فتشتكى هذه الخيرة قائلة :

" زوجي كسول عندما يتعلق الأمر بالكتابة مها رجوته فلا جدوى" كما تلاحظون لكل واحد من هذين الطوباويين شخصيته الخاصة ولا يعيشان في وهم واحد عن الآخر صحيح أن

الساعاتي أقل تعبيرا من حبيبته لكن محبته لا تقاس وإذ به يوقع في نهاية احدى الرسائل الر زوجته الحبيبة زوجك وصديقك الحقيقي الذي يحبك مدى الحياه " يجد كل زوج وزوجه نفسهما في أحاسيس القلب هذه رفعت الكنيسة على مذابحها اليوم طوباويين صنعهما الله بالطين الانسانية فتصلبت هذه الاخيرة على نار الحب.

بيد أنهما لا كتفيان بحب بعضهما البعض مستثنين الغير بل على لعكس اذ لا يكتفي لويس وزيلي بالمحبة بالكلام بل يحبان فعلاً الغير لا يحول حبهما الزوجي ولا محبة الله دون محبة أخيهما الانسان والتفاني في سبيلة وصولا الى البطولة لا ينفك كل من خط سيرة آل مرتان ينقل هذه الميزة الينا : فعلى سبيل المثال واصل لويس القيام المعاملات لمدة أسابيع عديدة على التوالي من أجل ادخال رجل عجو لا منزل له الى دار العجزة اما زيلي فتبذل نفسها من دون كلل في سبيل عائلتها ولكن ايضاً في سبيل عاملاتها اللواتي يعملن في منزلهن واللواتي تؤمن لهن لقمة العيش ولا تتردد في الاتصال بالشرطة ولا تتردد في الاتصال بالشرطة لتخلص فتاه مسكينة وقعت بين ايدي راهبات زائفات قمن بتعديها.

عائلة مليئة بالمحبة لكنها ليست منغلقة على ذاتها انها عائلة ستعرف أصعب الصعاب اذ سينتصر السرطان آخذاً زيلي عن عمر خمسة وأربعين عاماً فقط بعد تسعة عشر عاماً من الحياه الروحية أما لويس فسيعيش طويلا بعدها لكنه أصيب بمرض في الدماغ فعاش آلامه المبرحة متمتا بآلام المسيح.

أيها الحجاج الأعزاء تقدس لويس وزيلي بزواجهما المتين والخصب يجسد على أفضل نحو جمال الزواج المسيحي وعظمته وهذا ما تعرضه علينا الكنيسة اليوم من خلال مثالهما وتطوبيهما : فالزواج المسيحي ليس مفهوماً انجيليا لا يخص الا من القطع عن هذا العالم بل هو زواج طبيعي يبلغ أوجه وكماله عبر ممارسة الفضائل المسيحية وهذا مفتاح الفرح

الدائم للزوجين والأطفال ان ازدهرت القداسة الى هذا الحد وأعطت ثماراً كثيرة بين كل البنات وخاصة الاضعف بينهن تريز فلأن لويس وزيلي زرعا تربة عائلتهما بالنجيل فتشرب أطفالهما هذه الثقافة و كبروا فيها قاما بذلك بملء ازادتهما وهب كل نفسه للأخر في روحانية نص التطوبيـات الذي عبر العصور ومازال ينطبق على واقعا عبر تعليمهن الكلام ثم القراءة والكتابة كانت ريلي هذه المرآة الجبارة التى أعطانا سفر الأمثال صورة حية عنها في القراءة الاولى من هذه الذبيحة تنقل الى بناتها لغة الحب وتعلمهن المعتى الكامن وراء كل أعمال الحياة اليومية : الحياه المتواضعة ذات الاعمال المملة والسهلة هي عمل ايرادي يقتضي الكثير من الحب ان كنا ندين اليوم بالكثير الى القديسة تريز الصغيرة فذلك بفضل أبويها اللذين عرفا كيف يخلقان التربة الخصبة التي ولدت وترعرعت فيها قداسة تريز المميزة قبل أن تجد تكريساً نهائياً لها في الكرمل.

اليوم في فجر هذه الألفية الثالثة تهدد تيارات الموت التي تنقلها وسائل الاعلاك الزواج المسحي وكل زواج مرتكز على الحب الزوجي الواحد والمتين الوفي والخصب لذلك تساعدنا اليوم الكنيسة عبر تطويب هذين الزوجين المميزين على اعادة اكتشاف الزواج بعظمته التي لا مثيل لها وكرامته الفريدة : يرتوى هذا ازواج على نبع لا ينفك يفيض بسر الحب الذي يسكن قلب الرجل والمرأة منذ بدء تاريخ البشرية عندما خلقنا الله على صورته ومثاله وبمناسبة هذه السنة التي كرسها البابا بندكتوس السادس عشر الى القديس بولس كيف لا نكرر صرخة إعجاب هذا الرسول فيما نشكر الله على الطوباويين لويس وريلي :إن هذا السر العظيم واني أقول هذا في أمر المسيح والكنيسة ! (أفسس 5,32)

أيها الطواباويان لويس وزيلي مارتان نضرع اليكما اليوم من أجل عائلاتنا وخاصة من أجل الأهل والأطفال والآباء والأمهات الذين يحاولون التوفيق بين الحياه العائلية والحياة المهينة والمشاكل التربوية والمشاكل المادية.

نصلى من أجل كل عانى او يعاني من المرض وخاصة السرطان نصلي من أجل كل زوج أو زوجة فقد شريكة ويختبر صعوبة العيش كأرمل ساعداهم أيها الطوباويين الاعزاء ساعداهم جميعاً وساعدا العائلات على العيش مثلكما الأفراح والآلام ورجاء ومحبة آمين.

رئيس المحلس البابوي للثقافة والحوار بين الأديان.

صلاة للطوباويين لويس وزيلي مارتان

يا إله الحب الأزلي لقد أعطيتنا من خلال الزوجين .

الطوباويين لويس وزيلي مارتين مثالاً لقداسة نحياها في سر الزواج لقد حافظاً على الايمان والرجاء رغم واجبات الحياه ومصاعبها وربيا أولادهما على طلب القداسة وحدها لتكن صلاتهما ومثلهما حافظا للعائلات وحدها لتكن صلاتهما ومثلهما حافظاً للعائلات في عيش الى القداسة فشفاعتهما أنعم علينا بهباتك وعطاياك التي نحتاجها الآن وأعطنا أن نسلك طريق القداسة مثلهما نسألك هذا بواسطة ربنا وإلهنا يسوع المسيح له المجد الى الأبد.

آمين

فهرس المحتويات

مقدمة 4

عائلة مرتتان : بيت وعيلة حب (المطران ي غوسيه)..... 7

الأبوان في عائلة مارتين درب من القداسة يحمل الايمان

(الكردينال خوسيه سارايفا مارتنز)..... 31

القداسة المسيحية : سحر انساني

(الكردينال خوسيه سارايفا مارتنز)..... 45

سهود الحب الزوجي(اللكردينال خوسيه سارايفا مارتنز)..... 52

عظ قداس الشكر (الكردينال بوبويار 58

صلاة 65